العرب قادمون

المغامرون الستة
و
سر اللص الهارب

تأليف
محمد فتحى صبرى

المشروع العجيب

تلقّى جاسر مكالمة على تليفونه المحمول من والده، الذي كان يحدثه من مطار بيروت، في منتصف الليل، ليخطره أنه سيركب بعد نصف ساعة فقط، الطائرة القادمة إلى مطار الإسكندرية، وطلب منه أن يذهب إلى مطار الإسكندرية ليستقبله هناك؛ لأنه يحمل حقائب ثقيلة الوزن، ولا يعرف الطرق في مصر.

وما إن أخطره والده ذلك بالتليفون حتى أنهي المكالمة، وقد ترك جاسر طوال الليل لتساؤلاته: لماذا يأتي والده فجأة إلى مصر، وهو ليس لديه أي تعامل مع أحد فيها؟ حيث لم يخبره والده بشيء عدا جملة واحدة:

إنني قادم إلى مصر ، في مهمة غاية في الخطورة.

ظل جاسر يفكر في هذا الأمر، حتى لاح بعينه بصيص نور يولد في الأفق، فترك فراشه، وارتدي ملابسه.

ولم يشأ جاسر أن يوقظ أحدًا من أصدقائه، ليبلغهم بالأمر؛ فقد كان الوقت لديه لا يسمح له بحمل أي شيء،

فالطائرة التي تقل والده ستصل بعد ثلاث ساعات فقط، الأمر الذي يضطره إلى أن يأخذ أول سيارة بيجو أجرة مسافرة من موقف السيارات على خط مرسى مطروح- الإسكندرية.

وأثناء مغادرته لمساكن الطلبة، ندت عنه تنهيدة عميقة، وقال في حيرة:

آه لو كان حمدي موجودًا، ولم يسافر لزيارة أسرته، لصحبني بسيارته إلى هناك، وخفف عليّ المشقة، وأسرع يطوي الطريق، فوصل فيما بين مكان إقامته ومحطة السيارات البيجو في عشرين دقيقة فقط.

إلا أنه، وبالرغم من الجهد الذي بذله ليصل بهذه السرعة، كانت الطائرة التي تقل والده قد وصلت قبل أن يصل هو إلى المطار بمدة طويلة، فوقعت عيناه على والده من بعيد، وهو يقف على باب صالة الركاب، وأمامه مجموعة من الحقائب، فخف جاسر مسرعًا إلى لقائه، وراح يعانقه في حرارة.

ولم يجد ولد جاسر، والذي يُدعى الحاج فهد النابلسي، صعوبة في الحجز بأحد الفنادق، فقد أرشده سائق السيارة

الأجرة التي تقلهم إلى فندق ممتاز في مدينة مرسى مطروح.

بادر والد جاسر (الحاج فهد)، فور وصوله إلى غرفته بالفندق قائلا:

الحمد لله.. لا تتصور يا بُني مدي المشقة التي صادفتها أثناء قيامي بهذه المهمة.

فسأله جاسر في لهفة وحيرة:

مهمة.. وما هي يا أبي؟

ندت عن والده زفرة عميقة، قبل أن يقول:

أتَذْكر يا بُني اللقاء الذي تم بين أهالي الطلبة بكليتكم، وهيئة التدريس، عندما كنا نقضي الإجازة بالقرية السياحية بالغردقة؟

ظهرت علامات الدهشة على وجه جاسر، وهو يسأل في دهشة وحيرة:

نعم.. بالقطع، ولكن ما علاقة ذلك بمهمة حضرتك الخطيرة التي أخبرتني بها؟

هز والده رأسه، وقال:

لقد أسفر هذا اللقاء عن المشروع الخاص ببيع حق اختراع المادة التي تُضاف إلى السلاطة، فتجعلها طرية، وتحفظها لعدة أيام أيضًا.

فلما تصاعدت حدة الدهشة والحيرة، واللذان ظهرا على وجه جاسر، أردف والده قائلا:

وطبعًا هذا المشروع أمامه خمس سنوات على الأقل حتى يبدأ تنفيذه، ولذلك كان لا هم لي منذ اللقاء الذي تم بالقرية السياحية، سوى التفكير في كيفية التقاء العرب مع بعضهم البعض، في مشاريع تؤدي إلى تعميق الصلة بينهم، وجلب فرص عمل للشباب العربي.

فتعجب جاسر، وجعل يحدق في وجه والده بإعجاب شديد.

وأنت تعرف يا بني أنني رجل أعمال، وأقوم بالتجارة مع العديد من رجال الأعمال العرب، وبعد محاولات كثيرة مني استطعت إقناعهم بضرورة تأسيس بنك عربي كبير، يقوم بإقراض كل صاحب مشروع صغير برأسمال، ليسهل عليهم الأمر.

توقف ريثما يبتلع أنفاسه التي كانت تتلاحق، ثم أردف قائلاً:

أمّا شرطنا الوحيد، فهو أن تكون فكرة من يتقدم بطلب القرض جيدة ومبتكرة، ويتيح فرص عمل لأكثر عدد من الشباب.

فلم يقاوم جاسر إعجابه الشديد بعروبة والده، فقام وأخذ يعانقه في حرارة وحب.

وفي هذه اللحظة، كان ثمة طَرْق على الباب، حيث أقبل عامل الغرف ليخبر الحاج فهد بأن ميعاد الإفطار بالفندق قد أوشك على الانتهاء، فقال له الحاج في لهفة: اطلب لنا وجبة افطار إضافية مع وجبتى من فضلك.

تناول جاسر مع والده إفطارهما بشهية عالية، فقد بذلا جهدًا شاقًا في السفر والانتقال، ولكنهما ما كادا يتناولان قهوتهما إذا بجاسر يتساءل فجأة متشككا:

ولكن يا أبي إن مشكلتنا كعرب أنه كثيرا ما تدفعنا العاطفة والحماسة نحو مشروع، ولكن سرعان ما يخبو حماسنا فأنا أخشى..

فقاطعة والده متسائلا في حيرة:

وما الذي تخشاه يا بني؟

قال جاسر:

أخشى أن تضيع الحماسة لفكرة تأسيس هذا البنك مع الأيام.

أفتر ثغر والده عن ابتسامة واسعة، وقال في ثقة وتأكيد:

ستكون محقًّا في خشيتك هذه، لو لم نقم بالتنفيذ بالفعل، وإلا لما أتيت إلى هنا، وتكبّدت عناء السفر، وترك جميع مصالحي.

ظهرت الدهشة على وجه جاسر، وسأل والده، وهو لا يصدق:

وهل تم التنفيذ؟

فقال والده في ثقة وتأكيد:

نعم، فلقد تم التنفيذ بالفعل؛ حيث سدد كل مساهم في مشروع البنك حصته بالكامل، وقد أودعت الرصيد بالكامل في أحد البنوك العربية، تمهيدًا لتحويله إلى مصر، كرأسمال للبنك، وقدره ثلاثمائة وخمسين مليون جنيه.

فانفلتت من جاسر شبة صرخة، ولم يستطع أن يكبح جماح شعوره بالسعادة التي اعترته، فراح يعانق والده، وهو يبكي من فرط الفرحة، وسط أنظار جميع الجلوس بالمطعم، والذين راحوا يُحدّقون فيهما في تطلع ودهشة.

ولم يلبث جاسر أن سارع يزف هذا الخبر إلى جميع أصدقائه. وانتشر الخبر بين طلبة الكلية، وهيئة التدريس بها، فعلّق عميد الكلية في غبطة، عندما وصله الخبر: ما أجمل أن يتلاقى فكر العرب مع ما يمتلكونه من أموال فهذه المعادلة هى التى ستؤدي إلى نهضتهم.

وأعربت هادية عن سعادتها قائلة:

إنها أول خطوة نحو النهضة العربية، فالبنك وشروط إقراضه الميسَّرة سيتيح الفرصة لكل صاحب فكرة لتنفذها.

قال طلال يشاركهم الفرحة:

وعلى المدى الطويل، ستزداد مساهمة باقي العرب، فيمكنهم بذلك سحب أموالهم الكثيرة التي بالخارج، لتتلاقى مع أفكار المواطنين العرب المبتكرة، حيث إن الأفكار بذلك لن تكون قاصرة على أصحاب الأموال والسلطة فقط.

وقام حمدي من فوره، واتصل بوالده، وزف إليه الخبر، فوعده والده بأنه سيكلّف محامية عادل الطحلاوي، بمهمة إجراءات تأسيس البنك وإشهاره، لمعرفته بالقوانين المصرية، وستكون حصة مساهمته في هذا العمل الجليل، هي من خلال ما يسدد من أتعابه في تأسيس البنك.

وصار كل طالب بالكلية منذ هذا اليوم لا يفكر إلا في شيء واحد: ما هي فكرة المشروع التي يمكن أن يتقدم بها إلى هذا البنك الجديد، ليحصل بموجبها على قرض لتنفيذها، وكان الأصدقاء لمياء، وهادية، وحمدي، وطلال، ووليد، وجاسر، هم أكثر طلبة الكلية اهتمامًا بمشروع الاقتراض من البنك، حتى مرّ على ذلك ثلاثة أسابيع كاملة، ولكن، فجأة وصلت إلى والد جاسر مكالمة من محاميه عادل الطحلاوي، أخطره من خلالها بأنه للأسف قد رفضت السلطات المصرية تأسيس البنك.

فنظر الجميع إلى بعضهم في ذهول تام.

* * *

بنك الأفكار

أحدث قرار رفض الحكومة المصرية لتأسيس البنك صدمة شديدة في عقول وقلوب الجميع، وصاح حمدي في سخط وحنق:

هل وصل الروتين إلى هذه الدرجة؟

وعلّق شاب من دولة جيبوتي، في ضيق شديد مما حدث:

لن تقوم قائمة بعد ذلك للدول العربية، فالمشروع الذي اعتبرناه نواه لنهضة العرب توقف أمام صخرة الروتين المصرية.

إلا أنه لم يلبث أن حضر الحاج فهد النابلسي، والد جاسر، للقاء الحاج فاضل، والد حمدي، بأحد الكافيتريات الملحقة بالكليّة، فلما عرف من ابنه جاسر ما تم، وحالة الرفض والسخط التي في نفوس جميع الطلبة، قال معترضا:

لقد أساء الجميع الفهم لسبب الرفض.

غمغم حمدي في ضيق:

ولكن ألم تخطرنا حضرتك يا عمي، بأن الحكومة قد رفضت تأسيس البنك.

ففوجئ بالحاج فهد يقول:

نعم، ولكن الحكومة لم تمانع فكرة تأسيس البنك، بل بالعكس، رحب بها كل مسئول قابلته في مصر.

فسأله وليد في دهشة وحيرة شديدتين:

ولماذا رفضوا إذن؟

الحاج فهد:

لأن كل ما في الأمر، أن القوانين المصرية الخاصة بالبنوك، تشترط ألا يقل الحد الأدنى لرأسمال أي بنك عن خمسمائة مليون جنيه مصري.

علقت هادية قائلة:

الأمر هكذا بسيطًا، فممكن جدًّا أن يزيد كل مساهم من حصته حتى يكتمل النصاب.

تنهد الحاج فهد بعمق، وهو يقول في أسى:

للأسف، فقد اتصلت بجميع من ساهموا في هذا المشروع، وعرضت عليهم زيادة حصتهم، لكي يُستكمل

النصاب لتأسيس البنك، ولكنهم قالوا: قد سدد كل منا ما في إمكانياته في هذا المشروع، ولا يوجد لدى أحد منهم المزيد.

وبعد عدة دقائق فقط، أقبل الحاج فاضل، والد حمدي، وبصحبته محاميه عادل الطحلاوي، والذي بادر قائلا:

لقد جئت لأزف إليكم البشرى:

فسأله الحاج فهد النابلسي في لهفة:

وما هي؟

ندت عن المحامي ابتسامة واسعة، وقال وهو يوجه حديثه للحاج فهد:

ما دام هدفكم إقراض كل فرد لديه فكرة مبتكرة، تؤدي إلى تشغيل عدد أكبر من العمال، بالإضافة إلى أنكم لن تطلبوا رهنًا كبيرًا، قد لا يتعدى دراسة الجدوى، وفكرة المشروع، وذلك كله مقابل قيمة منخفضة، فلماذا يتم كل ذلك من خلال بنك؟

فسأله الحاج فهد، وهو لا يصدق:

وهل ثمة وسيلة أخرى عدا البنوك للقيام بعملية

الإقراض؟

المحامي:

نعم، يتم فتح مكتب للإقراض، ويُشهر هذا المكتب، ويُعلن عن البنود التي تتضمن شروط عملية الإقراض، والسداد، وطرق الرهن، وغيرها.

فما إن سمع الجميع بذلك، حتى هتفوا بصوت عالٍ، وقد علا صوت هتافهم، حتى أقبل جميع الطلبة، الذين ما إن سمعوا من الأصدقاء بما حدث، حتى جعل كل منهم يهنئ الآخر.

ولم يلبث أن مر أسبوعان فقط، حتى صار مشروع الإقراض حقيقة، فاتخذوا له مقرًا بمدينة الإسكندرية، وتم تعيين عدد من الموظفين، كان معظمهم من أصحاب المعاشات، الذين كانوا يعملون من قبل بالبنوك، وتم عمل لائحة قانونية وتنظيمية للمشروع، وصار الحاج فهد النابلسي رئيسًا لمجلس الإدارة، فاضطر إلى ترك كل أعماله التي في بيروت، ليستقر بمدينة الإسكندرية.

وتم عقد الاجتماع الأول، وكان الهدف منه، كيفية زيادة

الواردات بالنسبة للمشروع، حتى تصل في ظرف عامين إلى الخمسمائة مليون جنيه مصري على الأقل، حتى يتم تأسيس البنك، فيتمتع المشروع بمميزات البنوك.

وكان الإعلان عن مكتب للإقراض بفائدة منخفضة، وبتسهيل طويل في السداد، بالإضافة إلى تسهيل الرهن، مما يجعل قيمة مصروفات القرض تكاد تكون معدومة، مما شجّع العديد من أبناء الدول العربية، وأثار حماسهم، مما جعل العديد منهم يرسلون أفكارًا لمشاريع، والجدوى الاقتصادية لها.

وذات يوم، أقبل الحاج فهد النابلسي إلى الكافيتريا الملحقة بالكلية، لمقابلة ابنه جاسر، فلما وجده وسط أصدقائه، الذين أسرعوا لقدومه، وسارعوا للترحيب به، وسألهم بدوره كيف تسير الأمور بالكلية؟ فقالوا: بخير، والحمد لله، ثم سألوه بدورهم عن مشروع الإقراض، فأخبرهم بأن المكتب قد اشترط ألا يقرضوا أحدًا سوى صاحب الفكرة المبتكرة، لنستطيع التوصل إلى إنتاج سلع قادرة على المنافسة في الفترة الحالية، حيث لن يكون هناك

مجال إلا للسلع التي تحوي مكونًا فكريًّا وعلميًّا مرتفعًا.

علَّقت لمياء في إعجاب:

ياله من مشروع يا عمو! إنه سيكون النواة لنهضة العرب.

قالت هادية:

إن هناك يا عمو مئات الآلاف من الناس في عالمنا العربي، الذين يمتلكون القدرة على توليد أفكار مبتكرة، وغير تقليدية، ولكن..

فسألها الحاج فهد في لهفة:

ولكن ماذا يا ابنتي؟

هادية:

لكنهم لا يملكون ما يمكنهم رهنه من أراضٍ، أو حتى أثاث، لكي يأخذوا قرضًا، ولذلك لا يستطيعون الاقتراض لتنفيذ أفكارهم..

عقَّب طلال مؤكدًا:

وهذا يؤدي إلى اقتصاد يخرج أفكار مشاريع من يملكون الأموال فقط، مع أنه قد يكون هناك مئات الآلاف من غير

القادرين، ولديهم القدرة على توليد أفكار عظيمة.

فتدخل جاسر قائلا:

فعلاً يا أبي، ولذلك، فإن الفكر لدينا قاصرًا على أصحاب السلطة، وأصحاب الأموال؛ فلا يوجد في العالم العربي من يقدر على طرح أفكاره سوى أصحاب المشاريع أنفسهم، وللأسف قد يكون هؤلاء أضعف الناس فكرًا، فبذلك يحرم دولتنا العربية.

وفجأة بزغت فكرة في رأس وليد، فقال في حماس:

ما دمنا متفقون على أن فرص من لا يملكون الأموال في عرض أفكارهم شبه معدومة فى بلادنا لأنهم ينأون عن تقديمها للحصول على قرض، حيث لا يملكون ما يرهنونه مقابلا للاقتراض، مع أنه قد توجد لدي العديد منهم أفكار قد تؤدي الفكرة الواحدة منها إلى كسب مئات الآلاف، أو ربما الملايين.

وتوقف وجعل ينقل نظراته بين الجميع، وأردف قائلاً:

فما رأيك يا عمي لو ننشئ بنكًا للأفكار، يكون تابعًا لمكتب الإقراض هذا؟

عاود الحاج فهد كلام وليد، وهو يستعرض الفكرة:

بنك للأفكار يكون تابعا لمكتب الإقراض.

وقال، وقد استحسن الفكرة: والله فكرة!

فتدخل طلال قائلاً في حماس:

يعرض كل فرد فكرته على بنك الأفكار، والفكرة الناجحة يقوم المشروع بشرائها، أو يدخل شريكًا بالتمويل مع هذا الفرد في تنفيذ فكرته.

قال الحاج فهد، وقد استحسن الرأي:

عظيم.

أضاف حمدي قائلاً: توجد لدي ملاحظة في غاية الأهمية.

سأله الحاج فهد: ما هي؟

حمدي:

يجب ألا يرفض البنك أي فكرة تُقدم إليه، حتى لو لم يستحسنها. فلمّا حدق فيه الجميع في دهشة، أردف قائلاً:

نعم، فقد لا تعدو الفكرة مجرد ملاحظة، ولكنها ملاحظة قد تفضي إلى فكرة جبّارة، وقد تُعرض فكرة، قد تبدو

ضعيفة، ولكنها قد تهدف إلى فكرة أقوى، وطبيعة الأفكار أنها تقوي بتساند الأفكار لبعضها البعض.

قال الحاج، وهو يشرع في مغادرة المكان:

لقد أعجبتني فكرة مشروع بنك الأفكار هذا يا أولاد، وستُطرح فيه جميع الأفكار المقدمة من أبناء الشعب العربي، فربما ينجم عن ذلك حصولنا على أفكار عظيمة، تقوي بعضها البعض، فنحن لا نحتاج إلا لذلك لنهضة عالمنا العربي.

ولكن.. ما إن مرت عشرة أيام فقط على هذا اللقاء، حتى فوجئ الجميع بمفاجئة لم تكن في الحسبان أبدًا، بل كانت كالقنبلة التي انفجرت في الجميع، فبدلاً من أن يتيح المشروع القروض لأصحاب الأفكار المبتكرة، أو حتى المشاريع العامة، فقد فوجئ الجميع بأن إدارة المشروع قد قررت إقراض الرصيد المتاح للإقراض بالكامل، إلى شركة إنتاج شرائط الأغاني.

* * *

كان وقوع المفاجأة على الجميع بمثابة الزلـزال الـذي زلزل أفكارهم جميعًا، وأفقدهم الثقة في كل شيء.

صاح وليد، وهو لا يصدق:

معقولة.. بعد كل ما طُرح من أفكار، وبعـد أن وضـعت العديد من الأفكار في مشروع يكون نـواة لنهضـة الأمـة العربية، تكون هذه هي النتيجة.

عقّب طلال ساخرًا:

يبدو أنها أفكار لإقامة نهضة غنائية، وكأنما يكتفي شعبنا العربي بالأغاني التي تُذاع ليل نهار في جميع القنوات، حتى صارت الشغل الشاغل لشبابنا.

قال حمدي في ذهول:

أنا لا أصدق ما حدث، وكأنني في حلم أو كابوس. هـل سينهض العرب بالأغاني؟

وغمغمت لمياء في حيرة وحنق شديدين:

ويا ليت المكتب قد قام بإقراض مشروع الأغـاني هـذا

جزءًا من رأسماله المعدّ للإقراض، بل أقرض مشروع الأغاني رأسماله بأكمله.

هزت هادية رأسها، وعلّقت في يأس وحيرة:

إن ما حدث كان بمثابة كارثة سفّهت أحلامنا، وهزّت ثقتنا في كل القيم.

ومنذ أن نما هذا الخبر إلى علم جاسر، لم يستطع السكوت عليه، فسافر لتوّه إلى مدينة الإسكندرية لمقابلة والده، ليسأله لماذا حدث هذا؟ وكيف يقوم بحرمان كل أصحاب الفكر في عالمنا العربي من قيمة أفكارهم، ويمنح هذه الحقوق لشركة إنتاج الأغاني؟! ولكنه ما إن وصل وقابل والده، وسأله عن حقيقة ما سمع، حتى أخبره والده بالحقيقة التي وراء ذلك القرار، فلقد كان مشروع الإقراض، يقتضي زيادة رأسماله في فترة وجيزة، حتى يصل إلى الخمسمائة مليون جنيه اللازمة لتأسيس البنك، فلما تقدمت مجموعة من المندوبين عن تجارة الخضار، والفاكهة، والطيور، واللحوم، برأسمال، وحتى المطاعم، والذين قاموا بالاتفاق مع مندوب شركة كبري متخصصة في إنتاج شرائط

الأغاني وتوزيعها، على إنتاج كم هائل من الشرائط لأغاني المطربين المشهورين، والذين لهم جمهور كبير، علـــى أن يحصلوا على قرض كبير، ولا مانع أن يسددوا أكبر فائـــدة، ولكن بشرط وجود رهن، فلم يجدوا سوى مكتب الإقـــراض هذا، فعرضوا عليه أن يقترضوا منه كل الرصـــيد المتـــاح، وهو ثلاثمائة وخمسين مليون جنيه، على أن يقوموا بسداده خلال عامين فقـــط، بعائـــد مرتفـــع، يبلـــغ ضـــعف قيمـــة المصروفات التي فرضها المشروع للمقترضـــين، فوجـــدها المساهمون في المشروع فرصة جيـــدة لزيـــادة رأســـمال المكتب من هذه الفوائد المرتفعة، ليصل من خلال ذلك إلـــى تحقيق رأسماله المنتظر الخمسمائة مليون جنيـــه، خـــلال عامين فقط، وبذلك يُسمح لهم بتأسيس البنك.

وبعد عدة أيام، وفدَ إلى مصر مجموعة أساتذة جامعيين من العرب المقيمين بالخارج، ليطرحوا فكرة لديهم على بنك الأفكار، ولم يكن خبر اتفاق مكتب الإقـــراض مـــع شـــركة الأغاني قد وصلهم، فلمّا زاروا الحاج فهد النابلسي، وقـــد تصادف وجود الأصدقاء الستة بمكتبه، أقبل في هذا الوقت

وفد من التجار، ومندوبون عن شركة إنتاج الأغاني، وقد رافقهم عدد من محاميهم لوضع التفاصيل الكاملة لبنود عقد الإقراض المتفق عليه، الذي أتاح رأس المال المخصص لإقراض بالكامل إلى مندوب التجار لتمويل شركة إنتاج الأغاني، فأُصيبوا بذهول شديد، وراحوا يجيلون النظر بين الجميع، وهم لا يصدقون ما يحدث، فدخل أحدهم، وهو أستاذ علم النفس الاجتماعي بإحدى جامعات كندا، وسأل الحاج فهد في لهجة اعتراض مصحوبة بالغضب الشديد:

هل يُعقل هذا؟ لقد جئنا من آخر الدنيا لكي نقترض لعمل المشاريع المبتكرة، والتي ستخدم أمتنا العربية، كما تشترطون على المقترض، فنُفاجأ بأنكم تتركون كل ذلك، وتختارون مشروعًا لا علاقة له بالفكر، ولا بالعلم.

وتوقف ليلتقط أنفاسه، وأضاف:

مجرد إنتاج شرائط للأغاني!

وتساءل زميل في حنق:

وهل عالمنا العربي ينقصه ذلك، وقد سادت الأغاني كل حياتنا، ووسائل إعلامنا؟

فاندفع أحد مندوبي تجارة الأغاني والكاسيت:

يا سيدي الأستاذ، أنت أستاذ بالجامعة، وأكثر مني علمًا، ولكن لا دخل لك بمجال التجارة.

فتدخل أستاذ للاقتصاد بجامعات ألمانيا قائلا:

ولكن، إن للتجارة أصول وعلم، وليست مجرد خبرة.

فأطلق المندوب ضحكة عالية رنت أجوائها في أنحاء المكان، ثم قال في ثقة وزهو ممزوجين بالسخرية:

يا سيدي: إن الكتب التي تقرؤها وتدرّسها شيء، والواقع شيء آخر.

فرد عليه أستاذ الاقتصاد بتحدٍّ مصحوب بالسخرية:

وما هو الواقع يا سيدي، فإنني أجهله تمامًا؟

فقام مندوب آخر من مندوب التجار، وخاطبة قائلاً:

نعم يا سيدي، يجب أن تفهم الواقع.. يجب أن تعرف يا سيدي أن واقع بلدك يظهر بلا مجال للشك، أن الطبقة التي تحصل على أعلي دخل هي طبقات تجار الآكل والشرب، فهل يوجد يا سيدي صاحب مطعم إلا ويمتلك عمارة، وهل لا تجد مواطنًا طوال أشهر الصيف أمام محل عصير؟

وعقَب زميل له في تحدٍّ:

وحتى المقاهي، فلا يوجد فيها واحد يخلو من الزبـائن منذ الصباح وحتى آخر الليـل، وحتـى أصـحاب محـلات الجزارة، والأسماك، والطيور، جميعهم- ما شـاء الله- لا تنقطع رجْل الزبون عن محلاتهم.

هزّ محاميهم برأسه، وقال مؤكدًا:

فعلاً، فأنا محامي، وخريج جامعة، ولكني لا أنكر أن هذا هو الواقع.

بَيْدَ أن أستاذ علم الاجتماع قد عنّ له شيء، فتساءل في حيرة شديدة:

ولكن، ما علاقة مشاريع الأكل التـي تتحـدثون عنهـا، بمشروع إنتاج شرائط المطربين.

فلفت ذلك أنظار الجميع، وجعل الأصدقاء الستة ينقلـون أنظارهم في دهشة بين التجار، وسادت لحظـات صـمت، فحطمها مندوب الشركة التي تنتج شرائط الأغاني قائلاً:

يا سيدي: إن السوق ليس قاصرًا فقط على التجارة فـي المأكولات والمشروبات، وأنا أستطيع القول بصراحة: إننـا

نعيش على الربح المرتفع من فن الطرب، ليس المهم أن تكون الأغاني جيدة، ولكن العبرة بوجود العدد الهائل من جمهور كل مطرب منهم.

عقّب مندوب التجار موضحًا:

إن زبائن الشرائط يا سيدي يقْربون من نصف سكان البلد، فلا توجد سيارة أجرة، أو ميكروباص، أو نقل، إلا وكان سائقها زبونًا دائمًا، ومتابعًا لكل شريط جديد يظهر في السوق لمطربه المفضل، بل ولا يوجد مقهى إلا ويشتري الشرائط لتشغيلها في المحل.

وعاد مندوب شرائط الأغاني يقول:

ولما وجد هؤلاء التجَار أن مشروع إنتاج أغاني للمطربين، وبيعه في شرائط، أو فيديو كليب، يحقق ربحًا هائلاً، اتفقوا جميعًا معي في الدخول في هذا المشروع الكبير، مشروع إنتاج شرائط أغاني لكل مطرب من الخمسين مطربًا، الذين يتعاملون معي.

فأردف مندوب من تجّار الأغذية قائلاً:

ولذا قمنا بعمل شركة، فوجدنا أننا نحتاج إلى الثلاثمائة

وخمسين مليون جنيه بأكملهم، ليكملوا مــا جمعنــاه مــن التجّار لعمل هذا المشروع الكبير، وسندفع ٢٠ % كفائــدة سنوية، بشرط عدم وجود رهن.

لما لاحظ الحاج فهد النابلسي ومساعدوه علامات الحزن والضيق قد بدت على وجوه أساتذة الجامعات العرب، خطر بباله على الفور القيام بتأجيل التوقيع علــى العقــد، فقــال بلباقة أصحاب الأعمال يخاطب مندوبي التجّار:

اسمحوا لي يا سادة أن نؤجل دراسة تفاصيل العقد حتى ننتهي دراسة لجنة الاستشاريين القانونية، وأحصــل علــى تقريرهم، فالمبلغ كما ترون كبير لدرجة تستلزم المزيد من التأني في الدراسة، فأنا نائب عن مئات المساهمين.

لكن، صاح صاحب شركة الشرائط قائلاً، في لهجة تحــدٍّ وحسم:

لا تضيع الوقت يا حاج؛ فأمامنا كما قلت ما يزيــد مــن الخمسين مطربًا، لكل منهم جمهوره، والســوق مــتعطش لشرائط أغانيهم الجديد، وخاصة أغانيهم من خلال الفيــديو كليب، فلا يوجد مشروع يربح مثلما يربح هذا المشــروع،

ولذلك ستحصلون على فائدة لا تتخيلوا كم تكون.

سكت الرجل لثوانٍ، ولكنه سرعان ما أردف قائلاً:

صدّقونا، فنحن أصحاب الخبرة، كما أننا الفئة الوحيدة ذات الدخل المرتفع، فلو فكرتم في إقراض طبقة الجامعيين هذه، فلن تضمنوا أن يسددوا شيئا؛ لأنهم ببساطة ليس لهم في شئون التجارة.

لكن، فجأة صاح أستاذ الاقتصاد، وفي تحدٍّ:

بل أتحداكم، وسأثبت لكم أن العلم قادر على أن يحقق أضعاف أرباحكم من مشروع إنتاج الأغاني بمراحل.

فنظر إليه الجميع، وهم لا يصدقون.

* * *

التحدي

انتابت الجميع حالة من الذهول، وظلوا على هذه الحالة لمدة، وقطع الصمت مندوب شركة الأغاني، وهو يقول:

اسمحوا لي، لابد من تغيير جاكت البدلة بالعباءة، فهي تشعرني بالراحة في السير.

مد يده، وفتح حقيبة كانت أمامه، وأخرج منها عباءة ملفوفة، وفردها، وقام بعدّة محاولات لارتدائها.

وبعد أن غادر مندوبو التجارة المكان، ساد المكان حالة من الصمت التام، فقد كانت علامات الحيرة والذهول ظاهرة على وجوه الجميع، وكان الحاج فهد النابلسي أشدهم اضطرابًا وحيرة، فقد كان يخشى من ضياع صفقة العمر، والتي ستؤدي إلى زيادة رأس المال المعدّ للاقتراض، والتي كان سيحصل عليها من عملية الشرائط، وفي الوقت نفسه كانت الحيرة تنتابه؛ لحرمان جميع أصحاب الأفكار المبتكرة من الإقراض لمشاريعهم، لمدة قد تتجاوز العامين.

التفت حمدي إلى أستاذ الاقتصاد، وسأله في شغف

وحيرة:

هل لدى حضرتك فعلاً مشروع يعطي عائد مرتفعًا لدرجة أن تتحدي به مشروع إنتاج شرائط الأغـــاني والمعـــروف بربحيته المرتفعة؟

ففوجئ الجميع بالأستاذ يقول:

نعم.

فالتفت إليه الجميع ورمقوه في دهشة واستطلاع بـــالغ، وسأله الحاج فهد في لهفة:

وما هو هذا المشروع؟

فتدخل أستاذ علم الاجتماع قائلاً:

مشروع إنشاء مكتبة.

أعاد الحاج فهد ما سمعه، وهو لا يصدق.

مشروع إنشاء مكتبة!

هز أستاذ الاقتصاد رأسه، وقال مؤكدًا:

نعم يا سيدي، إنه ليس مجرد مشروع لدار نشر ومكتبة لبيع الكتب وحسب، ولكننا من خلال دراسة الجدوى، وجدنا أننا نستطيع الحصول على عائد من وراء هذا المشـــروع،

بمقدار عشرة أضعاف تكاليف المشروع.

فاندفع أحد مساعدي الحاج فهد قائلاً، وهو لا يصدق:

ماذا تقول يا دكتور؟ معقولة المشروع الذي يتحدى مشروع إنتاج شرائط الأغاني، ويكون البديل له في هذا الربح الهائل، مشروع مكتبة؟!

ردّ مساعد آخر للحاج فهد في لهجة ساخرة:

مكتبة في عالمنا العربي، الكتاب هو السلعة الوحيدة التي لا سوق لها، سيكون هذا المشروع خاسرًا، بل ويحقق خسارة فادحة.

وكان الأصدقاء الستة يتابعون ما يحدث، وهم لا يصدقون أن تكون الفكرة، التي يتحدى بها أستاذ الجامعة مشروع الأغاني، هو مجرد دار نشر ومكتبة.

عقّب أحد موظفي المكتب في حنق ممزوج بالحيرة:

لقد اعتقدنا أن لديكم مشروعًا خطيرًا، يتعامل مع سلعة متداولة، ولها سوق، مثل الأطعمة وشرائط الأغاني، فنُفاجئ بأن سلعتكم هي التي لا تُباع في أسواقنا، فنحن يا سيدي نتحدث عن تجارة، ولا نتحدث عن ثقافة.

فقال أستاذ الاقتصاد في ثقة وتأكيد:

يا سادة، أنا أستاذ في علم الاقتصاد، ولا أتحدث من فراغ، فلدي أرقام البيانات، ودراسة الجدوى.

تدخلت هادية، وسألت الأستاذ في حيرة:

ولكن يا سيدي، الكل يعرف أن سوق الكتاب في عالمنا العربي ضعيف جدًّا.

فالتفت إليها أستاذ الاقتصاد، وقال في هدوء وثقة:

لا يا ابنتي، الواقع كما نعرف نحن المتخصصين، هو الحقيقة التي تظهرها الأرقام، والمؤشرات، والتحاليل العلمية، فالأرقام تفيد أن هناك، على سبيل المثال، نصف مليون طبيب في العالم العربي يحتاجون إلى مراجع من الخارج، للإطلاع على الجديد في الطب، وتتراوح قراءة كل منهم سنويًّا ما بين مائتين إلى خمسمائة جنيه، وأخرج أستاذ علم الاجتماع ورقة، وجعل يقرأها: ويوجد ما يقْرب من مائتي ألف مدرس بالجامعة، وضعفهم من المعيدين، وطلاب الدراسات العليا، يحتاج الفرد منهم ما بين عشرة إلى خمس عشرة مرجعًا، ويتراوح فيه المرجع الواحد ما

بين عشرة إلى خمسين جنيهًا.

فندت عن الحاج فهد صرخة، لم يستطع كتمها:

معقولة!

ولم يردّ أحد، بل تدخل أستاذ علم المكتبات- وكان يجلس بجانب أستاذ الاقتصاد- وأردف قائلاً:

كما يوجد ما يقرب من عشرة آلاف مكتب استشاري، ومثل هذا العدد مكاتب المحاسبة القانونية، ويحتاج العاملون فيه كل مكتب سنويًّا كتبًا تصل إلى خمسمائة جنيه على الأقل، كما يحتاج ما يقرب من مائتي ألف طالب بكليات الطب، والطب البيطري، والأسنان، والصيدلة، إلى مراجع، خصوصًا في السنوات الأولي، ومتوسط ما يحتاجه الطالب منهم فقط ألف جنيه.

فنظر الجميع إلى بعضهم في دهشة، وعلّق آخر العاملين بالمكتب قائلاً:

تصوروا، إن هذه الأرقام حقيقية فعلاً، فابني طالب بالسنة الأولي بكلية الطب، وقد اشترى مراجعه هذا العام، بما يزيد عن الألفي جنيه.

فتساءل وليد في حيرة:

ولكن، إن هذه المراجع خارجية، وتشتريها كل جهة عن طريقها، فما علاقة مشروعكم بذلك.

فنظر الجميع إلى أساتذة الجامعة في تساؤل وشكّ، ولكن سرعان ما تدخل أستاذ الاقتصاد قائلاً في ثقة:

لأنه لو كانت كل مكتبة صغيرة تستورد كتبًا على حدة، فإن تكلفة شحن الكتاب إلى العالم العربي قد تتكلف حوالي ثلاثين جنيه، ولكن لو كان الذي يشتري دار كبرى للنشر والتوزيع، وتستورد في الشهر الواحد ما قيمته مائتي مليون جنيه، فإنها ستشحن كل هذا الكمية دفعة واحدة، فيتكلف المراجع الواحد ما لا يزيد عن جنيهين.

هز أحد المساعدين رأسه، وقال مؤكدًا: آه.. فعلاً.

أضاف أستاذ الاقتصاد قائلاً:

وبما أننا سنكون الجهة التي تشتري بما يزيد عن المليار جنيه سنويًّا، فسيرتفع بالتبادل خصم الشراء لنا إلى ما يقرب من ثلاثين في المائة.

صاح الحاج فهد النابلسي، والذين معه في إعجاب

ودهشة، في وقت واحد:

يالها من فكرة. إن ربحها مرتفع فعلاً.

فتدخلت أستاذة في علم المناهج قائلة:

ولكن، ليست هذه كل الأرباح، بل توجد أرباح أخـــرى لا تقل عن ذلك، لو احتكرنا بيعها.

فسألها جاسر في شغف ولهفة:

أرباح أخرى من الكتب.. كيف؟

أستاذة المناهج:

نعم، فالمعروف أن التعليم في الفترة التي نحن بصددها، سيلزم كل تلميذ بقراءة عدة كتب كمراجع، ولما كان عـــدد التلاميذ في العالم العربي مائة مليون تلميذ، ونظام التعلـــيم القادم سيتطلب أن يقرأ كل طالب ما بين خمسة إلى عشـــرة مراجع في المادة التي يختارها للقراءة، فإننا لـــو احتكرنـــا عملية نشر وبيع هذه الكتب، لقمْنا ببيع كتب تزيد قيمتهـــا على المليار جنيه سنويًا.

صدر عن جميع الحاضرين صياح الإعجاب والدهشـــة، وصاح طلال، وهو لا يصدق:

لقد كنا متصورين أن العلم لا يفيد التجارة في شيء.

فرد عليه أستاذ علم الاجتماع قائلاً:

إن هذه أكذوبة وصدقناها يا بني؛ فما يسود في عالمنا من تجارة هو مجرد استغلال لظروف الناس، وحاجتهم من مأكل ومشرب، بل واستغلال وسائل الإعلام في إثارة مشاعر الشباب بالأمور التافهة لبيع أشرطة الأغاني، ولكن الصعب، هو كيف تكتشف ما لا يكتشفه الفرد العادي، وتجذب الأنظار إلى سلع لا يُقبل عليها الفرد العادي، فهذا هو دور العلم والفكر.

وما إن هدأ الجميع، إذا بأستاذ الاقتصاد يقول في هدوء وثقة:

أما المفاجأة التي سأعلنها لكم، هي أن مشروع النشر والتوزيع والمكتبة هذا، سوف يحقق قبل أن يبدأ ضعف قيمته، أي لن نكلّف المكتبة ودار النشر جنيهًا واحدًا، بل سنحصل على ضعف تكلفتها قبل أن نبدأ في تشغيلها.

فأُصيب الجميع بذهول شديد.

***

تسمّر الجميع في أماكنهم تمامًا، وجعل كل منهم ينظـــر إلى الآخر في دهشة، وكأنما يقول له: هل سمعت مثل الذي سمعته.

ومما زاد الأمـــر دهشــــة، أن بقيــــة أســـاتذة الجامعــــة الجالسين، التفتوا إلى أستاذ الاقتصاد، وقــد مـــرت علــــى وجوههم علامات الدهشة البالغة، فبادر الحاج فهد بســـؤال أستاذ الاقتصاد، وهو لا يصدق:

هل هذا لغز؟ فهل يوجد مشروع في الدنيا يربح قبـــل أن يعمل؟ إنني أعمل بالتجارة منذ أكثر من ثلاثين عامًا، ولـــم أسمع في حياتي عن شيء مثل هذا!

هزّ أستاذ الاقتصاد رأسه، وقال مؤكدًا:

إن ما قلته هو الحقيقة التي أثبتتها الأرقام فعلاً.

سأله حمدي في شغف هائل:

وكيف ذلك؟

بادر أستاذ الاقتصاد قائلاً، وهو ينقل نظراته بين وجـــوه

الجميع، الذين كانوا مثبتين عيونهم عليه، في تطلع وشغف هائلين:

إن تفكيرنا في مشروع دار النشر والمكتبة هذا، نَجَمَ عن دراستنا للمشاكل التي تؤدي إلى عدم إقبال عدد من محبي القراء على شراء الكتب، وحتى الكتب الرخيصة الثمن، فمثلاً قارئ يسكن في مدينة الأقصر، ويحب أن يقرأ كتابًا ما، ولكن هذا الكتاب لا يوجد في مكتبات الأقصر، وقد لا يوجد هذا الكتاب إلا في مكتبة صغيرة في المنصورة مثلا؛ لأن معظم الكتب القديمة قد نفدت، ويتبقى منها كتاب أو اثنين في السوق كله، ولو فرضنا أنه يوجد خمسة مليون قارئ، يريد كل منهم قراءة ما بين كتابين أو ثلاثة، ولا توجد هذه الكتب في نطاق مكانه، فإنه بحسبه بسيطة، نجد أن عدد الكتب التي يحتاجها القرّاء، ولا يجدونها، قد يصل عددها إلى عشرين مليون نسخة كتاب، في مصر فقط.

وتوقف، وراح ينقل نظراته بين الجميع، فلما وجدهم منصتين في اهتمام وتفكير فيما قال، أردف قائلاً:

وعندما يعرف الجميع أنه توجد مكتبة، لو ذهب كل منهم

إليها سيجد فيها كل ما يبتغيه، فلن يتردد أحد منهم في الذهاب إليها، أو يطلب من يذهب إلى مكانها، أن يشتري معه هذا الكتاب.

وأضاف أستاذ المكتبات مؤكدًا:

كما أن وجود مكتبة تحوي جميع الكتب، سيجعل كل دار نشر، من المائتين دار نشر في مصر وحدها، تقوم بطباعة كل ما سبق طباعته من كتب.

سأله حمدي في دهشة:

وما معني ذلك؟

أجاب أستاذ:

ستُعيد طباعة كل الكتب التي سبق وأن قامت بطباعتها، وقد تصل إلى مئات الكتب، ولما كان عدد النسخ من الكتاب الواحد منها، قد لا يقل عن خمسة آلاف، فتخيلوا معي لو قامت كل الدور بطباعة ما سبق أن طبعته منذ تاريخ شغلها بالنشر.

سأله جاسر في حيرة:

كم يكون ذلك؟

أستاذ المكتبات:

ما لا يقل عن عشرين مليون نسخة كتاب.

أُصيب الجميع بذهول شديد.

فعقب أستاذ الاقتصاد قائلاً:

فالمكتبة ستكون بمثابة معرض دائم للكتب، ويحوي عشرات الملايين من العناوين، الأمر الذي سيجلب إليه على الأقل، ما لا يقل عن عشرة مليون زائر سنويًا.

سكت لحظة، ثم أردف قائلاً:

وكما تعرفون، فإن ثمن الأرض إلى جانب هذه المكتبة التي عليها كل هذا العدد سنويًا سيرتفع جدًا؛ لأن المعروف أن المنطقة التي يتردد عليها عدد كبير من الناس، ترتفع قيمة الأرض بها وحولها.

فلما ظهرت الحيرة على وجوه الجميع، أردف قائلاً:

ولذلك، لو تم شراء أرض بمنطقة صحراوية، مثل طريق القاهرة- الإسكندرية الصحراوي؛ لأن تكلفة المتر فيه لا تزيد عن المائة جنيه، ولكنه بعد قيام المشروع سيؤدي إلى رفع قيمة الأرض إلى سبعمائة جنيه.

تنهّد، وجعل يجيل النظر بين الجميع مرة أخـــري، ثـــم أردف قائلاً:

وذلك فإننا لو قمنا بشراء أرض مساحتها ثلاثة ونصـــف كيلو متر مربع، أي ثلاثة ونصف مليون متر مربع، بســـعر مائة جنيه/متر، وبعد أن نقيم على نصف كيلو متر مربـــع المكتبة، وقمنا ببيع هذه الأرض بسعر المتر الواحد سبعمائة جنيه، فإننا سنكسب من وراء ذلك قيمة تكلفة إنشاء المكتبة نفسها.

فما إن سمع الجميع بذلك، حتى نـــدت عـــنهم صـــيحات الإعجاب، وهتف أحد العاملين بالمكتبة:

يحيا العلْم.

وصاح آخر:

لقد انتصر العلم أخيرًا على الجهل.

وقام الأصدقاء جميعًا بتحية الـــدكتور، والحـــاج فهـــد، وهنئوه على المشروع المنتظر.

ودعا الحاج فهد النابلسي الجميع بهذه المناســـبة إلـــى مأدبة عشاء بأحد الفنادق الكبرى بمدينة الإسكندرية، فراح

الجميع يقبل على الطعام بشهية عالية، فقد كانوا يشـــعرون أنهم يحتفلون بانتصار العلم والفكر لأول مرة ضد الجهــل، وفي مجال التجارة الذي ينتصر فيه الجهل دائمًا في بلادنا.

ولكن وبينما كان الجميع يجلس لاحتساء القهوة والشاي بعد الطعام، وهم في استرخاء وأمان، إذا بجرس محمـــول الحاج فهد يرن فجأة، وما إن رفع التليفون إلى أذنيه، حتى بدت منه صرخة، وقال في ذهول:

ماذا تقول؟ معقولة! كيف؟

قال ذلك، وانتفض واقفًا، فما إن سأله الجميع في لهفـــة عما حدث حتى قال في جزع:

لقد سطا أحد المجرمين على المكتب وسَرَقَه.

***

هب الجميع في فزع وقادوا سيارتهم بسرعة في أثر الحاج فهد، الذي هرع إلى سيارته، وانطلق بها بسرعة هائلة، فاضطر حمدي إلى القيادة بسرعة، حتى يكون إلى جانبه، وفي أثرهم كان أساتذة الجامعة يقودون سيارتهم خلف حمدي، حيث كانوا لا يعرفون الطريق جيدًا.

ولم تمضِ إلا عدة دقائق فقط، حتى توقفت سيارتهم أمام باب العمارة التي يوجد بها مكتب الحاج فهد، والذي لم يطق صبرًا على انتظار المصعد، الذي كان مشغولاً، فصعد السلم عدوًا، فانطلق الأصدقاء صعودًا إلى الطابق الذي به مكتب الحاج، ودخلوا من بابه، حتى فوجئوا جميعًا بالحاج فهد، وقد ظهرت على وجهه علامات الراحة، وبادرهم قائلاً:

الحمد لله. لم يقترب المجرم من الخزينة، والتي بها المستندات الخاصة بالمساهمين.

فتنفس الجميع الصُّعداء أخيرًا، وكان أساتذة الجامعة قد لحقوا بهم في هذه اللحظة، ولما اطمئنوا تساءل أستاذ

غريبة.. ولماذا أخبرك رجالك بأن المكتب قد تعرض للسطو؟

فندَت عن الحاج ضحكة مرتفعة، وأردف قائلاً:

تصورا.. مجرم يقتحم مكتبًا كبيرًا مثل مكتبنا، ولا يسرق سوي بعض ملابس ساعي المكتب!

قال وليد وهو لا يصدق:

معقولة! إن ملابسه التي يرتديها لا تساوي إلا ثمنًا رخيصًا.

فوجئ الجميع بعم فراج يخرج ويقول في حنق مشوب بالحسرة:

لقد خرجت لاشتري طعام العشاء لي، وما كدت أدخل المكتب حتى وجدت بابه مفتوحًا، فاعتقدت أن الحاج فهد قد حضر، ولكنني دخلت الصالة، فلم أجد أحدًا، فسمعت صوت حركة داخل غرفة مكتب الحاج فهد، فلما دخلت، وقعت عيني على رجل كان يفتش في الشقة، فما كدت أسأله ماذا تفعل، إذا به يهجم عليّ، ويزج بي، فوقعت على الأرض.

وتوقف، وقال وقد تضاعفت حدة الحنق في صوته:

لقد فوجئت بالملعون يسرق ملابسي، وبها حافظة أوراقي. وهز رأسه، وأردف في حسرة وحنق:

آه لو استطعت أن أمسك به، لمزقته إربًا، فأنا لا أنسى وجهه أبدًا.

ولما فرغ الرجل من حديثه، واطمأن الجميع، رفع الحاج فهد ذراعيه، وجعل يدعو الله ويحمده، ثم التفت إلى عم فراج الساعي، وقال وهو يبتسم:

لا تحزن، فسأعوضك عن الجلباب المسروق، فقال عم فراج في لهفة ورجاء:

والصديري..

فابتسم الحاج فهد، وقال:

والصديري يا عم أيضًا.

فغمغم عم فراج في حيرة:

إن ما جعلني أتميز غيظًا، أنني قد اشتريتها منذ أسبوع فقط، فلا أعلم كيف علم هذا اللص أن لدي جلبابًا و (صديري) جديدين.

وتنهد، وهز رأسه، وأردف قائلاً:

ربما كان يقوم بمراقبتي منذ مدة، وعينه عليهما.

فلم يستطع أحد من الموجودين أن يسيطر على حالة الضحك التي انتابته، حتى الحاج فهد.

وسرعان ما دار في إثر حادث السطو هذا حوار طويل بين الأساتذة والحاج فهد والعاملين بالمكتب، وقد شارك فيه الأصدقاء الستة، فأسفر الحوار عن اقتناع الجميع بأن اللص قد سمع عن وجود مكتب لإقراض الناس، فاعتقد أنه يحوي أموالاً طائلة، وأنه جعل يعد العدة للسرقة، فراقب المكتب لمدة، فلما شاهد الجميع وهم يغادرون المكتب، حتى عم فراج نفسه، الذي خرج في أعقابهم، انتهز الفرصة، وقام على الفور باقتحام الشقة، بعدما سهل عليه فتح بابها، ولكنه لم يستطع فتح الخزنة بطريقته، ولذلك، فقد راح يفتش في صديري وجلباب عم فراج، عساه أن يجد فيهما مفتاح الحزينة، فلما لم يعثر عليه، وفوجئ بالساعي، قام بزجه، فأوقعه أرضًا، وسارع بالفرار.

وفي مساء نفس اليوم، غادر الأصدقاء مدينة الإسكندرية، ليستأنفوا الدراسة بالكلية، وقد اعترتهم جميعًا

الغبطة والراحة؛ لشعورهم بانتصار العلم على الجهل في مجال التجارة، وذلك من خلال مشروع للثقافة في مصر والعالم العربي، والذي حرص الأساتذة على ألا يعرف به أحد، فوعد كل الحاضرين بالحرص الشديد على أن يجعلوا هذه الفكرة سرية.

وانخرط الأصدقاء في الدراسة بالكلية، وقد انتابتهم موجهة حماس، جعل جاسر في نهاية كل أسبوع يسافر إلى حيث يوجد والده الحاج فهد، ليطمئن منه على سير العمل في المشروع،

والذي يتكون من دار للنشر والتوزيع والمكتبة، وهو ما أطلقوا عليهما اسم مشروع الأمل.

ولم تلبث أن حصلت إدارة المشروع على الأرض التي تطابق المواصفات تمامًا، فمساحتها ثلاثة ونصف كيلو متر مربع، وعلى طريق مصر- الإسكندرية الصحراوي، ولكن كان ثمن المتر في هذه الأرض مائة وخمسون جنيهًا شاملة المرافق، وكان مالك هذه الأرض فرنسي الجنسية، وقد اشتراها منذ عدة سنوات، وقام بعد تجهيزها بالمرافق ببناء

مصنع كبير لصناعة السيارات، ولكن عدل الشـركاء عـن مشاركته، واستثمروا أموالهم في مشروع بأوروبا الشرقية.

وعلى الفور، كان مهندس التصـميمات قـد مـد إدارة مشروع المكتبة بالتصميم الهندسي للمكتبة، وكان التصميم خارقًا للمألوف تمامًا، وقد شرح لهم الحاج الفكرة قائلاً:

هذا التصميم خارق للمألوف تمامًا؛ فالمكتبة تُقام علـى نصف مليون متر مربع، وفيها أماكن مخصصة للكافيتريات، والمطاعم، والحدائق.

فسأله وليد في حيرة:

ولكن، هل يمكن أن تحوي المكتبة عشرات الملايين من عناوين الكتب؟ إن هذا مستحيل.

فأجاب الحاج مؤكدًا:

بل ممكن جدًّا؛ لأنه، وطبقًا لتفكير أساتذة الجامعة الذين فكروا في المشروع، ستحوي أماكن العرض بالمكتبة نسخة واحدة من كل عنوان كتاب، أمـا أسـفل المكتبـة، تحـت الأرض، فسيوجد طابق مساحته نصف مليون متر مربـع، أي بمساحة أرض المكتبة بمرافقها بالكامل، لتكون مخزنـًا

لعدد من النسخ لكل عنوان، وفيه تتم عملية الشراء.

ولم تمر إلا عدة أشهر، حتى دعا جاسر أصدقاءه لزيارة المكتبة، فلم يصدقوا أنفسهم عندما وقعت عليهـــا أعيـــنهم، فقد تم إنجاز ٧٠ % من المشروع في وقت قياسي؛فشعروا أن الحلم قد بات وشيكًا.

وكانت السعادة والحماسة بادية على وجه الحاج فهـــد، وهو يشرح للجميع كل قطعة تم إنجازهـــا مـــن المبـــاني، والهدف منها، وفي نهاية اليوم، دعاهم الحاج إلـــى تنـــاول طعام العشاء في إحدى الكافيتيريا التي تـــم بناؤهـــا داخـــل الأرض المقام عليها المكتبة.

وكان الحاج فهد قد قام بإبلاغ المساهمين في الإقراض، بأن المشروع سوف ينتج ربحًا يصل إلى ضـــعفي قيمتـــه، ولكنه لم يخبرهم بالكيفية التي سيتحقق بها الـــربح، فلمـــا علموا برقم هذا الربح الذي ســـيتحقق تشـــجعوا جميعًـــا، وقرروا رفع رأس مال مشروع دار النشر والمكتبة، بحيث تمتلكها إدارة المشروع نفسها، وجددوا ثقتهم في رئاســـة الحاج فهد النابلسي للمشروع، واسندوا إليه مسئولية إدارة

هذا المشروع الهائل.

إلا أنه ما إن مضى على ذلك شهر فقط، وكاد الأصــدقاء ينتهون من أداء اختبار نصف العام، إذا بالجميع يفــاجئون بمفاجأة لم تكن في الحسبان أبدًا، فهـــي مفاجـــأة أصـــابت الجميع بالشلل التام، فقد اتضـــح أن إدارة المشـــروع قـــد تعرضت لأكبر عملية نصب واحتيال؛ حيث إن وكيل المالـــك للأرض التي اشتروها كـــان منـــتحلاً لشخصـــية الوكيـــل الحقيقي، وأن الشيك الذي قاموا بسداده له، وقدره أربعمائة وخمسون مليون جنيه، قـــد منحـــوه لشخصـــية وهميـــة، فضاعت بذلك عليهم قيمة الأرض، بالإضـــافة إلـــى قيمـــة المباني التي أقاموها على الأرض، وقدرها ثلاثمائة مليـــون جنيه؛ فسقط الحاج فهد مغشيا عليه!

***

الوكيل المحتال

لم يصدق عادل الطحلاوي، المحامي الذي كان مختصًا بإنهاء إجراءات شراء الأرض، فتوكيل شراء الأرض كان صحيحًا، والتوكيل الذي قدمته المحامية ووكيله، ويدعى رفعت السنجري، المصري الجنسية، كان توكيلاً صحيحًا، ولكن كانت المفاجأة أن رفعت السنجري، الذي باع الأرض بالتوكيل الصحيح، ليس هو رفعت السنجري الوكيل الفعلي لمسيو فرانسوا بابير، بل هو شخص صاحب جواز سفر مزور، وأن إدارة الجوازات المصرية أكدت صحة أقوال مسيو فرانسوا بابير، وأن الصورة التي على جوز سفر الوكيل رفعت السنجري، هي صورة لرجل أخر، كما أكدت ذلك أيضًا وزارة الداخلية الفرنسية، وبذلك أقرت النيابة بأن البيع ليس صحيحًا؛ فالرجل المنتحل شخصية رفعت السنجري هو مجرم، ولكن ما جدوى اتهامه بالتزوير، ما دام الرجل قد اختفى، وقد قام بتحويل الشيك إلى رجل آخر أسترالي الجنسية، وأثبتت التحريات أن المبلغ (الأربعمائة

الرجل الأسترالي الجنسية، والأغرب من ذلك، أن التحريات قد أثبتت أن رفعت السنجري الحقيقي لم يدخل مصر منذ ثلاثة أعوام.

فشعر الحاج فهد أنه قد ضاع عليه كل رأسمال الشركة. قيمة الأرض التي سدد ثمنها، وهي الأربعمائة وخمسون مليون جنيه، بالإضافة إلى قيمة أعمال البناء التي أُقيمت عليها، وقدرها ثلاثمائة مليون جنيه، وبذلك، فإن الشركة قد تعرضت إلى كارثة وخسارة فادحة، قدرها سبعمائة وخمسون مليون جنيه مصري.

وكان الأصدقاء منذ أن تلقوا الخبر يحيطون بجاسر، الذي اعترته صدمة هائلة، وكان بين حين وآخر يثوب إلى رشده، ويسأل عن والده الذي انهار تمامًا، ونُقل إلى إحدى المستشفيات، وظل بها ثلاثة أيام كاملة، حتى استطاع الأطباء إنقاذه من حالة اختلال ضربات القلب والضغط التي أُصيب بها.

ولما غادر الحاج المستشفى، كان أول سؤال يسأله لكل من يقابله: هل استطعتم إلقاء القبض على المجرم الذي

انتحل شخصية وكيل بابير المالك للأرض؟

وكان رجال المباحث، منذ إبلاغهم بجريمة النصب والاحتيال التي قام بها المجرم منتحل شخصية وكيل المالك، في حال من الجد الدؤوب للعثور عليه، كانت صورته في كل أقسام الشرطة، والمطارات، والموانئ، وكافة المنافذ البرية، التي تغادر منها السيارات الأراضي المصرية.

وكان رئيس مباحث الإسكندرية، الذي أُسند إليه التحقيق في هذه الجريمة، يزور مكتب الحاج فهد النابلسي، وكان هناك الأصدقاء الستة. ظل رئيس المباحث يحدق في وجوههم في تساؤل، فلما أخبره الحاج بأنهم أصدقاء ابنه وزملاؤه بالكلية، صافحهم في وداعة، وبادر قائلاً للحاج:

ولكن الغريب أنه وحتى الآن لم يعثر رجالنا على أحد منهما داخل مصر، ضمن إحدى المجموعات السياحية.

فسأله الحاج في لهفة:

هل غادرها ضمن المجموعة المغادرة أصلاً؟

أجابه رئيس المباحث:

لا، لم يغادرها ضمن المجموعة، بل ولم يغادرها حتى

الآن.

سادت لحظات صمت، قطعها حمدي مخاطبًا رئيس المباحث:

ولكن ما دام مجرم مثل الرجل الذي انتحل شخصية رفعت السنجري، وكيل بابير، لديه القدرة على تزور جواز السفر، فيُحتمل أن يكون قد غادر مصر بجواز مزيف آخر، تحت اسم آخر.

رانت علامات الدهشة على وجه رئيس المباحث، وبدا أنه فوجئ بهذا الأمر، وما كاد يُعْمل فكره في هذا الأمر، إذا بوليد يخاطبه هو الآخر:

ربما فعل الرجل الأسترالي مثله، فيُحتمل أنه قد غادر مصر تحت أي اسم.

فانتفض رئيس المباحث واقفًا، وقال:

عظيم يا أولادي.. عظيم، إنه احتمال قوي.

وأطرق يفكر لعدة ثوان، ثم هز رأسه، وقال:

ولكن صورهما على العموم تحت أعين رجالنا في المطارات، والموانئ، وكافة المنافذ، فلو كانا قد استطاعا

المطارات، والموانئ، وكافة المنافذ، فلو كانا قد استطاعا تغيير اسميْهما، فلن يُغيرا صورتيهما.

قال ذلك وقام على الفور بالاتصال بمساعديه، وطلب منهم البحث عن صورة جميع من غادروا مصر في الفترة ما بين توقيع عقد شراء الأرض، وحتى اللحظة التي يتحدث فيها إليهم. ولكن، وبعد يومين فقط على حدوث ذلك، حمل إلى الحاج فهد معلومات تفيد بأن رجال المباحث قد عكفوا مع رجال الجوازات طوال يومين متواصلان، ولكنهما لم يعثروا على صورة الرجل الذي انتحل شخصية رفعت السنجري، ولا الرجل الأسترالي من ضمنهم، ومعني ذلك أنهما مختفيان داخل مصر.

شعر الحاج فهد ومساعدوه بأن الموقف قد تعقد تمامًا.

وكان أُستَاذَي الاقتصاد والاجتماع قد عادا إلى مصر ليجتمعا بالحاج فهد؛ للوقوف على سير العمل، فما أن أخطرهما الحاج بما حدث،حتى أُصيبا بذهول تام.

قال أستاذ الاجتماع، بعدما استجمع شتات نفسه:

إن الأمر هكذا قد صار خطيرًا.

لياقتهما الذهنية، بعدما شعرا بأن هناك أمل في أن يقبض رجال المباحث على الرجلين المختفيين.

وبعد يومين اجتمعا بالحاج فهد، وكان الحاج فاضل، والد حمدي، قد أقبل في زيارة ليطمئن على الموقف، ودعا حمدي أصدقاءه للحضور؛ لمؤازرة والد جاسر، فلم يلبث أن حضر الجميع.

كان الوجوم باديًا على الوجوه، فقد ساد بينهم جميعًا، شعور بأنه كلما تأخر رجال المباحث في القبض على المجرمين، كلما كانت فرصتهما في الهرب كبيرة، فقد يستطيع أعوانهما تدبير مخرج لهما، حتى لو أدي إلى إجراء جراحة، لتغير وجه كل منها ليهرب بسهولة من البلاد.

بيْد أنه فجأة، بزغت فكرة في رأس حمدي، فقال في حماس شديد:

لقد توصلت إلى فكرة قد تحل المشكل تمامًا.

فنظر إليه الجميع في شفف وتطلع!

* * *

ساد بين الجميع صمت تام، وتعلقت أنظارهم بحمدي في شغف هائل، فبادر قائلا:

إننا اشترينا الأرض من مسيو بابير بسعر المتـــر مائـــة وخمسين جنيه، فوافق الرجل على هذا الثمن، ولذلك ممكن أن نشتري الأرض مرة أخري من مسيوفرانسوا بابير.

فسأله والده الحاج فاضل، وهو لا يصدق:

ماذا تقول يا بني؟ وهل هذا حل؟! معني ذلك أنه سيضيع على الشركة الأربعمائة وخمسين مليون جنيه. إن ذلك يعني اعترافًا منّا بعدم وجود جريمة نصب.

فقال حمدي في تصميم:

نعم، فإننا بذلك سندفع أربعمائة وخمسين مليون جنيـــه، أي أننا نكون قد سددنا بذلك تسعمائة مليون جنيه، ولكننـــا وبعد اكتمال مشروع المكتبة، سنبيع الأرض التـــي بجانـــب المشروع بسبعمائة جنيه للمتر الواحد، أي بـــألفين ومائـــة مليون جنيه، ومعنى ذلك أننا سنربح ألفًا ومـــائتين مليـــون

راح الجميع ينظرون إليه في دهشة، ولم يلبث أن تغيرت أسارير وجوههم، حيث ران عليها الإعجاب الشديد، وقـال أستاذ الاقتصاد في إعجاب:

يالها من فكرة! إنها فكرة رائعة!

وما إن سمع الحاج فهد بذلك، حتى شعر وكأنما روحه قد رُدت إليه مرة أخري، فانتفض واقفًا، وشكر حمدي، وعانقه وهو في غبطة وسعادة، وقال:

لقد أنقذتني يا ولدي بهذه الفكرة.

ولم تمر إلا عدة ساعات فقط، حتى تم الاتصال بين الحاج فهد مسيو بابير، وعرض عليه الحاج أن يشتري منه الأرض مرة أخرى بتوكيل جديد منه لوكيله الحقيقي، فأمهله بابير مدة أسبوعين للتفكير، بيد أنه ما إن مرت ثلاثة أيام فقط، حتى اتصل به بابير، وأخبره بأنه يريد ثمنًا للمتر الواحد في الأرض ألف جنيه.

فوقع هذا الخبر على الحاج فهد كالصاعقة؛ فمعني ذلك أن الأمل قد تحطم تمامًا.

وعلق أستاذ الاجتماع في حزن دقيق:

وعلق أستاذ الاجتماع في حزن دقيق:

لقد صار الأمر خطيرا، فلا يوجد أمامنا من حل إلا من خلال القبض على المجرمين.

واعترت الأصدقاء حالة من الحزن والغم، وكان جاسر أشدهم حزنا، ولم يعرف كيف يواسى والده، الذي ظهرت عليه علامات الانهيار الشديد.

وساد الصمت بين الجميع لمدة، فحطمه وليد، وهو يتساءل في حيرة:

هناك أمر يدعو إلى الشك والحيرة!

فلما نظر إليه الجميع في تساؤل، أردف قائلا:

إن مسيو بابير هذا كان موافقا على بيع الأرض بسعر المتر مائة وخمسين جنيها، وقد عمل توكيلا لمحاميه الحقيقي لكي يبيع الأرض بناء على هذا السعر، فلماذا عارضه في إعادة البيع بنفسي السعر، مع أنه كان من الطبيعي أن يوافق، ولو على سعر أقل؛ نظرا لظروفنا.

أومأ أحد مساعدي الحاج فهد برأسه، وقال مؤكدا:

فعلا، إنه أمر يدعو إلى الحيرة والدهشة!

من المؤكد أنه فعل ذلك عندما أدرك لهفتنا على شــراء الأرض.

ولكن، فوجئ الجميع بهادية تقول في لهجة تأكيد:

لقد تأكدت الآن من وجود نقطة كانت غائبة عنّا تمامًا.

نظر إليها الجميع في شغف، فأردفت قائلة:

لقد سمعت من جاسر أن الحاج فهد قــد فــوجئ بأحــد سماسرة العقارات يأتيه، ويسأله إذا كان يرغب في شــراء أرض مساحتها أكثر من ثلاثة كيلو متــر مربــع، مــع أن الشركة لم تخبر أحدًا بأنها تحتاج إلى أرض.

فلما ظهر على وجوه الجميع أثر المفاجأة، وجعل الحاج فهد يُعْمل فكرة ليتذكر ما حدث، قال في دهشة وحيرة:

فعلاً، مع أننا لم نكن قد عرضنا فكرة شراء الأرض على أحد بعد، وخاصة أن أرضًا بهذه المساحة الهائلة لا يطلــب أحد من الآخرين شرائها، إلا من خلال إعلان بالجرائد.

فلما بدت أمارات الحيرة على وجوه الجميــع، أردفــت هادية قائلة:

إن الموضوع بذلك قد بان واضحًا، كيف عرف السمسار

بأن هناك طلبًا على أرض بهذه المساحة الهائلة، مع أننا لم نعرض الموضوع على أحد؟ وكيف عرف ميسو بابير بفكرة مشروعنا، والذي مؤداه أن المكتبة سترفع قيمة الأرض التي حولها، ولذلك عرض علينا هذا السعر الباهظ جدًّا، فكل هذا لا يشير إلا لشيء واحد.

سألها الحاج في لهفة:

وما هو؟

هادية:

إن هناك فردًا يتجسس علينا، وهو الذي وافى السمسار بطلبنا لشراء الأرض، وهو الذي قام بإبلاغ مسيو بابير، بأن الأرض سيتضاعف سعرها بعد المشروع، ولذلك غير رأيه، ورفع سعر الأرض.

فنظر الجميع إلى بعضهم في دهشة.

***

التحقيق

أجمع كل الموجودين على أن أفضل حل هو اللجوء إلى رئيس المباحث، الذي أُسندت إليه عمليه اقتفاء أثر المجرمين، لإخطاره بما حدث من وجود شخص يقوم بالتجسس، ونقل الأخبار. فما إن ذهب الحاج فهد إلى مكتب رئيس المباحث، وروى له ما حدث، حتى قام على الفور باستدعاء السمسار، ومن خلال التحقيق معه، صرح له الرجل بأنه كان لا يعرف شيئًا عن موضوع الأرض، ولكن جاره رجل في منتصف الأربعينات، وأبلغه بأن هناك شركة ترغب في شراء أرض هائلة المساحة، لا تقل عن ثلاثة كيلو مترات لعمل مشروع كبير.

وعقّب السمسار قائلاً في حيرة:

ولكن الأمر الذي جعلني أُصاب بدهشة شديدة، هو أن الرجل نفسه أخطرني بوجود أرض يمتلكها فرنسي يُدعى مسيو بابير، كان سيقيم عليها مشروعًا ضخمًا لصناعة السيارات، ولكن شركائه اختلفوا معه فتوقف المشروع.

فانتابني الشك، ولم أُصدق الرجل، وسألته: لماذا تطلب مني ذلك، مع أنك تعرف المشتري والبائع معًا؟

سأله رئيس المباحث، وقد ازدادت حيرته:

فعلاً.. إن هذا أمر غير منطقي؟

فأجاب السمسار:

فلما سألته: لماذا لا تتوسط أنت؟ فقال: إنه يعرف الطرفين معًا، ولكن حساسية مركزه تحول دون ذلك، وكل ما يريده مليونا جنيه فقط من عمولة المكتب عن السمسرة في هذه العملية.

سكت السمسار، ولم يلبث أن أردف قائلاً:

ولذلك ذهبت أولاً إلى مكتب الحاج فهد النابلسي، لكي أخبره بوجود الأرض، ولما وجدت أنه جاء فعلاً لطلبها، أسرعت، واتصلت بالرجل الفرنسي مالك الأرض، حسب رقم التليفون الذي وافاني به الرجل الذي زارني، وبذلك أتممت الصفقة.

سأله رئيس المباحث:

وهل جاء الرجل مرة ثانية ليقبض نصيبه من العمولة؟

فأجاب السمسار على الفور:

نعم، ولكن اشترط أن أسدِّد له المليوني جنيه نقـدًا؛ لأن الشيك سيفضح أمره، ويعرف الطرفـان أنـه وراء هـذه الصفقة، وبعدها قام رئيس المباحث، وعرض على السمسار صورة الرجل الذي انتحل شخصية رفعت السنجري، فلمـا رآه السمسار اندفع قائلاً: هو.. إنه هو الرجل الذي أخطرني بموضوع الأرض.

وفي مساء اليوم، اجتمع رئيس المباحث بالحاج فهد في مكتب الشركة، وما إن علـم الأصـدقاء بحضـور رئـيس المباحث، حتى أسرعوا للمشاركة في الحوار.

بادر رئيس المباحث قائلاً:

لقد اتضح لنا جزء كبير من الجريمة التي تم تدبيرها. إن رفعت السنجري هذا هو الذي قام بتدبير الدور الكبير فـي ارتكابها، وهو الذي قام بإبلاغ السمسار ليكون شكل البيـع قانوني، وهو الذي سرق التوكيل ليبيع به الأرض، ويقبض ثمنها لصالحه.

فراح الجميع يفكر لمدة طويلة في أمر هذا الرجل منتحل

شخصية رفعت السنجري، فساد المكتبَ الصمتُ التام، ولكن قطعتها لمياء قائلة:

ولكن، إن تحريات رجال المباحث، واشتراكهم مع إدارة الجوازات، أثبتت أن الرجل الذي انتحل شخصية رفعت السنجري هذا لم يكن في فرنسا؛ لأنه لم يثبت عليه أنه دخل مصر إطلاقًا منذ عمل مسيو بابير للتوكيل، فربما أن أحدًا قد قام بسرقة التوكيل من محامي بابير، رفعت السنجري الأصلي، والموجود بفرنسا.

قال الحاج فهد بعد تفكير:

فعلاً؛ لأن التوكيل المقدم غير مزور، وذلك بشهادة خبراء الشهر العقاري، وخبراء الخطوط أنفسهم.

قال وليد:

معنى ذلك أن الرجل الأسترالي هو الذي قام بسرقة التوكيل، وحضر إلى مصر ليقدمه إلى المجرم، الذي انتحل شخصية رفعت السنجري، فقام بتزوير جواز السفر، لكي تكون بياناته هي بيانات رفعت السنجري، وبذلك يكون العقد قانونيًا، رغم أن الهدف هو السرقة والغش.

وفجأة، بَدَا لجاسر شيء، فتساءل في حيرة شديدة:

هناك نقطة تدعو إلى الحيرة والتفكير.

سأله والده في لهفة:

ما هي؟

فقال جاسر:

الرجل الأسترالي هذا، هو شريك في عملية السرقة، ولذلك حوّل الرصيد إلى البنك في أستراليا، والمفروض أن العملية قد تمت بذلك، فلماذا لم يسافر بعدها إلى أستراليا؟ فهل يمكن لفرد أن يقوم بالسرقة في بلد غير بلده، ورغم ذلك يستمر في هذه البلد؟

أبدى رئيس المباحث إعجابه قائلاً:

فعلاً، إنها ملاحظة في غاية الخطورة.

بَيْد أنه توقف فجأة، فقد عَنَّ له شيء، فشَرَدَ قليلاً، وقال وسط شروده:

فكرة.. ولكن.

فسأله الحاج فهد في لهفة:

ولكن ماذا؟

رئيس المباحث:

لو أن هذا الرجل كان مختبئًا في مصر، فـالمفروض ألا يختبئ إلا في دار للمواطنين الأجانب المقيمين في مصـر، بما فيهم الطلبة الأجانب الذين يدرسون هنا.

وتوقف، وأطلق زفرة حادة، وأردف قائلاً في يأس:

ولكن للأسف، لم يُسفر كل ذلك عن شيء.

فصاح طلال في حيرة وشك:

لكنني أشك في أمر ما.

التفت إليه رئيس المباحث، وسأله في حيرة:

وما هو؟

طلال:

طالما أن الرجل الأجنبي لم يسافر، بالرغم مـن انتهـاء مهمته، وتحويل رصيد البنك إليه، فمن المحتمـل جـدًا أن يكون هذا الرجل مختطفًا.

فسأله وليد، وهو لا يصدق:

ماذا تقول؟

طلال في إصرار وتأكيد:

نعم، فهناك من له مصلحة في اختطافه.

سأله الحاج فهد في دهشة شديدة:

ومن يكون؟

قال طلال في تأكيد:

الرجل نفسه الذي انتحل شخصية رفعت السنجري.

* * *

راح الجميع يحدّق في طلال، وهمْ في دهشة لمدة طويلة، فقال موضحًا.

إن الرجل كان يمكنه السفر بعدما أنهى مهمته، وأضاف قيمة شراء الأرض إلى حسابه، فمن المؤكد أنه لو كان هناك اتفاق بينه وبين منتحل شخصية رفعت السنجري، فإن رجلاً بمثل هذه الشخصية لن يثق في أحد، فهو من المؤكد قد اختطفه، ولن يتركه يهرب بالغنيمة، إلا لو أضاف إليه نصيبه، وهذا النصيب من المؤكد قد يكون في شكل سحب شيك لصالحه من حساب الرجل الأسترالي، وهذا لم يحدث حتى الآن كما علمنا من رجال المباحث.

فراح الجميع يفكر في الأمر، وخيّم الصمت على المكان تمامًا، وقطعه رئيس المباحث قائلاً، وكأنه يفكر بصوت مرتفع.

لو كان هذا الاحتمال صحيحًا، وكان الرجل مختطفًا لدى منتحل شخصية رفعت السنجري هذا، فإن هذا الأمر سيغير

فلما نظر إليه الحاج فهد متسائلاً، قال مفسرًا:

نعم، فإن خطتنا في البحث عن المجرم قائمة على البحث في مساكن الأجانب، والمساكن المفروشة التي يقطنها الأجانب، ولكنها بذلك صارت لا جدوى لها؛ لأن المختطف مصري، وبالتالي ستكون إقامته لدى أُناس مصريين، وهذا يعني أن نطاق التفتيش والبحث سيشمل مصر كلها، ومن هنا تعقدت المشكلة كثيرًا.

فصاح الحاج فهد في قلق وجزع:

ولكن، إن الأمر الوحيد أمامنا هو القبض على المجرمين، فلو قبضنا على أحدهما سيرشدنا إلى مكان الآخر، بل وربما قد يوجد آخرون، أما الآن، فالبحث عن المجرم قد صار وهمًا، وسكت، ثم أردف، وقد تلاحقت أنفاسه:

ولو لم نعثر على هؤلاء، فسيضيع أملنا، ويضيع ثلاثة أو أربعة مليارات جنيه.

أطبق الصمت على المكان مرة أخرى، وقطع صوت جرس المحمول الخاص برئيس المباحث الصمت، فلما تلقي

المكالمة، قام على الفور مستأذنًا في مغادرة المكان، تاركًا الجميع وهم في حالة من الحزن والحيرة، وخاصة الحاج فهد، والذي تقلص وجه من فرط الحزن والخوف العميق.

وعَنَّ لحمدي أمر، فتساءل فجاءة:

توجد نقطة قد غابت عن خاطرنا تمامًا.

سألته هادية في حيرة:

وما هي؟

حمدي:

كيف عرف منتحل شخصية رفعت السنجري أصلاً بفكرة مشروعنا؟! فنحن قد تحدثنا فقط عن طريقته في تدبير الجريمة، ولكن من أين حصل على المعلومات عن المشروع؟

صاحت هادية في حماسة، كمن وجد مخرجًا للمأزق الخطير:

فعلاً، لابد أن هناك شخصًا ما، هو الذي قام بنقل المعلومات إلى منتحل شخصية رفعت السنجري هذا.

وعقّب وليد قائلاً:

وخاصة أن المعلومات لم تخـــرج عـــن دائـــرة أســـتاذة الجامعة الأمريكية، ومساعد الحاج، ونحن؛ حيث لم نتحدث في هذا المشروع إلا بعد أن غادر التجار المكان.

راح كل منهم يفكر في حيرة، وبادر الحاج فهد قائلا:

أما المساعدون بالمكتب، فقد كانوا حريصين تمامًا على ألا يتم نقل الفكرة لأحد، كما أن أستاذة الجامعة الأربعة هم أصحاب المصلحة في نجاح المشروع، فقد اتفقت معهم على أن أمنح كل منهم خمسة % سنويًّا من أربـــاح المشـــروع، بالإضافة إلى نفس النسبة في حالة الربح من بيـــع الأرض التي حوله، وهذا يتيح لهم عائدًا ضخمًا، يجعلهم هم الـــذين يحرصون على نجاح المشروع؛ لأنه لو فشل هذا المشروع، فسيضيع عليهم هذا العائد الضخم. فاندفع جاسر قائلاً:

ونحن جميعًا طبعًا لا يمكن أن يتطرق الشك إلى أحـــدنا، فأومأ والده مؤكدًا:

طبعًا.. طبعًا.

قالت لمياء:

لا يوجد أمامنا سوى..

وتوقفت فجأة، وأشارت نحو عم فرّاج، ساعي المكتب، الذي كان قد أعطاهم ظهره، وهو مشغول بصنع الشراب للجميع، وطلب منه الحاج أن يشتري الشطائر من محل مشهور على ناصية الشارع، ولما تناول منه الرجل النقود للشراء، وغادر المكتب، التفت الحاج إلى لمياء، وقال:

إنني لا أتصور أبدًا أن يقوم فرّاج الساعي بنقل الأخبار، وهذا ليس من باب الأمانة؛ لأنه لم يعمل معي لمدة طويلة لكي أحكم عليه، ولكن لأنه لا يجيد مجرد القراءة والكتابة، وبالتالي لن يدرك طبيعة ما دار من حديث، ولكن..

اعترضت هادية قائلة:

إن الأمور كلها تشير إلى أن هناك شخص، لا ريب، هو الذي قام بنقل ما دار من حديث بين الجميع، وحضرتك يا عمو أثبت بما لا يقطع الشك، أن مصلحة أساتذة الجامعة أصحاب فكرة المشروع، تجعلهم يخشون من مجرد وجود خلل بالمشروع، فمحال تدبيره، وبذلك لا نجد أمامنا أحد من الموجودين وقت الحوار سوي عم فرّاج.

أومأ الحاج برأسه، وقال في حيرة:

نعم فقد كان عم رياض الساعي الآخر غائبًا في هذا اليوم، أما الساعي الثاني سعدون، فقد أرسلته يومها في مأمورية لم يعد منها سوى في اليوم التالي.

قال حمدي في حيرة:

من المؤكد أن عم فرّاج لم يدرك أبعاد الأفكار التي طرحها الأساتذة أثناء الجلسة، ولكن يُحتمل أنه قد قام بنقل بعض العبارات التي دارت في الاجتماع إلى أحد من أقاربه، أو معارفه، فكانت الخيط الذي أفضى إلى تدبير هذه الجريمة.

فكر الحاج فهد لحظات، ثم قال:

هذا احتمال.

فاتفق الجميع على أن يقوم حمدي ووليد في اليوم التالي بمراقبة عم فراج، بعد أن يتنكروا تمامًا؛ حتى لا يشعر بهما.

وعلى الفور، أسرع حمدي ووليد إلى مكان أقامتهما بالقرية، وفي اليوم التالي، كانا يقفان بالقرب من باب العمارة التي يوجد بها مكتب الحاج فهد، استعدادًا لمراقبة

عم فرّاج فور مغادرته المكتب، وظلا ينتظرانه حتى وصلتهم الإشارة على المحمول الخاص بوليد، والتي كانوا قد اتفقوا على إرسالها فور مغادرة عم فرّاج المكان.

كانت مراقبة عم فرّاج من أشق المهام التي واجهها حمدي ووليد؛ فبالرغم من أن الرجل كان بطيئًا في سيره؛ لضعفه، وكبر سنه، لكنه وقف لمدة طويلة في انتظار الأتوبيس الذي ينقله إلى مسكنه، وكان الأتوبيس مزدحمًا تمامًا، فظلا يراقبانه، وهما يقفان في صعوبة بالغة وسط زحام شديد من الركاب، بالقرب من باب الركوب، وكان الأتوبيس كلما يتوقف عند إحدى المحطات يدخل بعض الركاب، فيحدثون مزيدًا من الاختناق إلى الزحام الموجود، وبعد عدة محطات، وصل الزحام إلى ذروة كثافته، فجعل وليد وحمدي يستعيدان توازنهم بصعوبة، فيصعب عليهما في كل مرة تتبع وجود عم فرّاج.

وفجأة، وفي أثر دخول بعض الركاب الجدد، فوجِئا بعد أن هدأت الجلبة باختفاء عم فرّاج، فعادا أدراجهما، وهما على مضض، ولكنهما أقدما على معاودة المحاولة في اليوم

التالي، وأفلحا أخيرًا في اللحاق به، وهو يغادر الأتـــوبيس وسط الزحام الشديد.

وكان المكان الذي دخله الرجل غريبًا، فقـــد دخـــل فـــي شاطئ مزدحم بالسكان، ثم عرج الرجل على حارة ضـــيقة، ودلف منها على زقاق يفضي إلى مكان آخر، فشعرا بحرج شديد؛ حيث لاحظا أن عيون أهل المكان ترقبهما، فقد بـــدا غريبان عن المكان الذي يعرف جميع ساكنيه بعضهم بعضًا، ومما زاد من حرجها، أنه لا يوجد مقهى أو محل يســـتطيعا من خلالهما الوقوف لمراقبته، فاضطرا إلى تكرار المحاولة ليومين آخرين، إلا أنه، وفي اليوم الثالث، استطاعا التعرف على شاب صغير في المرحلة الثانوية، يقطن فـــي الشـــقة المجاورة لشقة عم فرّاج، فاستطاعا من خلال حديثهما معه الحصول على معلومات في غاية الأهمية، فعم فرّاج ليس له أبناء، أو أقارب متعلمين، أو حتى معـــارف، وكـــل حياتـــه قاصرة على وجوده مع زوجته المريضة، وهي امرأة مسنّة وأميّة. أما دائرة معارفه، فلا تعدوا العجلاتي الـــذي يـــزحم الزقاق الضيق بالعجل، الذي يقوم بتـــأجيره لـــلأولاد، أمـــا

صاحبه الآخر، فهو صاحب معمل صغير للمخلل والطرشي، ولكن، ما كادت الأمور تتعقد تمامًا، وصار الشخص الذي قام بنقل ما دار من حديث إلى العصابة لغزًا غامضًا، إذا برئيس المباحث يقبل فجأة، ويبادر الجميع قائلاً:

لقد فاتنا أن نضع تحت أعيننا الشخصية التي لها المصلحة الكبرى في سرقة قيمة الأرض، ويُحتمل أنها المحرك الأساسي فيما يحدث.

فلما نظر إليه الجميع في تساؤل ولهفة، قال:

مسيو فرانسيوا بابير نفسه!

فأصيب الجميع بدهشة شديدة.

* * *

تعلقت أنظار الجميع برئيس المباحث، وهم في دهشة ممزوجة بالشغف العظيم، فأردف رئيس المباحث، وهو يفسر وجهه نظره قائلاً:

نعم؛ فلقد وصلنا من خلال تحليلنا لما حدث، أن مسيو بابير هذا، هو صاحب أكبر مصلحة في إنكار بيع أرضه، بعدما يقوم بقبض ثمنها.

فحاول طلال أن يسأله، وهو لا يصدق:

ولكن..

بيد أن رئيس المباحث واصل حديثه قائلاً:

إن مسيو بابير هو الوحيد الذي لا يستطيع أحد اتهامه بالتزوير في توكيل بيع الأرض؛ لأن التوكيل الذي عمله لمحامية صحيحًا بشهادة الخبراء وإقرارهم بذلك، وقد حرص على أن يكون التوكيل حقيقيًّا حتى تتم البيعة، ويقبض الثمن الذي قد وصله عن طريق آخر، فمن المؤكد أنه هو الذي اتفق مع الرجل، الذي قام بانتحال شخصية

الأسترالي، فيظهر بابير بذلك أنه لا علاقة له بعملية البيع.

وسكت، وجعل ينقل نظراته بين الجميع، الذين رانت على وجوههم جميعًا الحيرة والدهشة، ثم أردف قائلاً:

لقد كان شكنا في بابير هذا منذ بداية إخطاركم لنا بالحادث، ولذلك طلبت من بعض رجالنا المحققين بسفارتنا بفرنسا، القيام بالتحري عن فرانسوا بابير هذا، فلم يلبثوا بعد عدة أيام فقط، أن وافونا بمعلومات عن بابير، تفيد بأنه قد سبق أن اقترض مائة مليون فرنك فرنسي منذ عدة سنوات، وماطل في سدادها للبنك، ولكنه عاد واتفق من خلال محاميه وصديقه رفعت السنجري مع البنك على جدولة الدين، فنجا بذلك من عقوبة السجن، فمن المحتمل جدًّا أنه اضطر إلى السداد، عندنا أخطره محاميه بأنه معرض للسجن.

وتوقف فجأة، وزفر في عميق، قبل أن يردف قائلاً:

فمن الواضح أنه هذا الرجل يعرف كيف يخطط لجريمته، بأسلوب يستفيد فيه من القانون وثغراته، من خلال محامية وصديقة الماهر رفعت السنجري.

فسألته هادية:

ولكن، قد يكون هذا مجرد احتمال.

وعقب طلال متسائلا:

وكيف سنتأكد من صحة شكوككم هذه؟

أجاب رئيس المباحث سريعًا، وكأنه كان منتظـرًا لهـذه السؤال من خلال أمر واحد، وهو خطوتنا التاليـة، وهـي مراقبة حسابات الرجل الأسترالي؛ لأنه لو قام بتحويل المبلغ من رصيده إلى حساب مسيو بابير نفسه، أو إلـى حسـاب وسيط يفضي إلى وصول المبلغ إلى مسيو بابير، فهنا تـتم الضبطية للمسيو بابير.

وساد المكتب الصمت تمامًا، وكان كل مـن الأصـدقاء والحاج فهد يفكرون فـي التصـور والافتراضـية اللـذين وضعهما رئيس المباحث. وكان الساعي (الجاهلي) قد حضر يحمل إحدى الصحاف في صـعوبة شـديدة، وهـو ينـوء بحملها، فخف جاسر ووليد إليه لمعاونته.

وساد الصمت مرة أخري، ولكن قطعة الحاج فهد وهـو يسأل رئيس المباحث في شك وحيرة:

ولكن، هل يمكنكم تنفيذ خطتكم هـذه، والتـي تقتضـي مراقبة البنك بهذه البساطة؟

فاندفع رئيس المباحث قائلاً:

لقد اتفقنا على ذلك مع السلطات الفرنسية، وقد اتفقـوا هم بدورهم مع السلطات الأسترالية.

وتنهد في عمق وقال، وهو يهز رأسه مؤكدًا:

وهنا، وعند خطورة التحويل هذه، سـيكون ذلـك هـو الكمين الذي نصبناه لفرانسيوابابير.

غادر رئيس المباحث المكان، ثم مرت مدة طويلة لم يقع خلالها أي حادث من عن شيء، فلم تصل أي أخبـار تفيـد بتوصل رجال المباحث إلى أحد من المجرمين الهاربين، أو تحرك في حساب الرجل الأسترالي.

فتساءل حمدي قائلاً في خوف:

إنني أخشى من أمر قد يكون في غاية الخطورة دون أن ندري.

فسألته هادية في لهفة:

وما هو؟

حمدي:

ألا يكون المجرمان مختبئين في مصر أصلاً.

فالتفت إليه جاسر، وسأله في هلع.

ماذا تقول؟

حمدي:

نعم، فيُحتمل جدًّا أنهما قد هربا من مصر، بعدما أُجريت لهما عملية لتغير الوجه، ووضع كل منهما صورته الجديدة في جواز سفر مزيف جديد.

فشهقت لمياء وقالت في ذهول:

لو حدث هذا ستكون كارثة!

فعقّب طلال:

لذلك، لا يوجد أمامنا سوي أمل واحد.

سألته هادية في شغف:

وما هو؟

طلال:

الحساب الخاص بالرجل الأسترالي، فإن حركة هذا الحساب هي التي ستحدد علاقته بمسيو بابير.

ولم يمضِ على ذلك سوي ثلاثة أيام فقط، فإذا برئيس المباحث يقبل على مكتب الحاج فهد، ويبادر قائلاً في حماسة ولهفة:

لقد وقع الحادث الذي ننتظره جميعًا.

فلما سأله الحاج في لهفة:

ماذا حدث؟

أردف رئيس المباحث في حماسة هائلة:

لقد تم تحويل حساب الرجل الأسترالي من البنك باستراليا إلى أحد البنوك السويسرية.

وزفر في عمق، وقال:

وهذه هي الخطوة التي ننتظرها؛ لأن الأسترالي، من خلال هذا البنك السويسري، سيقوم بتحويل رصيده بسهولة إلى مسيو بابير، وبذلك نستطيع أن نضع أيدينا على دليل تآمُره. ما أن سمع الحاج فهد ذلك، حتى تسارعت دقات قلبه، وكاد أن يقع مغشيًا عليه من فرط الفرحة.

***

اكتست وجوه جميع الأصدقاء بالفرحة الغـامرة، وكـان جاسر أكثرهم سعادة وغبطة، فجعل يعانق والده بين حـين وأخر، وهو يقول في عبطة:

الحمد لله. لقد وضعنا أيدينا على الدليل الـذي سـيجعل المجرم بابير هذا يظهر على حقيقته.

بَيْدَ أنه، وبعد أن راح الجميع يفكـر فيمـا حـدث، إذا بحمدي يتساءل في شك وحيرة:

لماذا نربط بين تحويل المجرم الأسترالي لحسابه من بنك إلى آخر، وبين المستر بابير.

سأله جاسر، وهو لا يصدق:

ماذا تقصد يا حمدي؟

حمدي:

إن تحويـل الرجـل الأسـترالي لحسـابه إلـى البنـك السويسري، هو خطوة ستخدمنا- بلا شك- فـي معرفـة الطرق الأخرى المشترك معه في الجريمة؛ لأنه سيدفع لـه

نتعرف بذلك على المجرم، ولكن لا يُشترط بالضرورة أن يكون المجرم أو الطرف الثاني في العملية هو مسيو بابير.

وبعد عدة أيام أخري، كانت الأخبار قد وصلت من رئيس المباحث إلى الحاج فهد النابلسي، بأن الحساب الجديد الذي فتحه الرجل الأسترالي في سويسرا قد حوّله باسمه، ولكنه لم يصل منه مبلغ إلى أحد.

وعلق رئيس المباحث قائلاً للحاج فهد في حيرة:

إننا ننتظر الخطوة التالية على أَحَرِّ من الجمر. وكان الأصدقاء في هذا الوقت مشغولين تمامًا، في محاولة معرفة سر هذا الرجل الذي قام بنقل خبر مشروع المكتبة، فقالت لمياء، وقد خطر ببالها شيء:

ربما صرّح أحد من أساتذة الجامعة إلى صديق له، أو ربما إلى زوجته بهذه المعلومات، فقام الصديق أو الزوجة بمصارحة آخرين، وبذلك وصل الأمر إلى هؤلاء المجرمين.

ولكن، ما كاد الحاج يسمع بذلك حتى قام على الفور بالاتصال بكل فرد من هؤلاء الأساتذة على حدة، فأفاده كل منهم بأنه كان في غاية الحرص، لدرجة أنه لم يتحدث أحد

منهم إلى زوجته، أو معارفه، حتى أستاذة علم المناهج، قالت: إنها كانت في إجازة قصيرة للعمل بعيدًا عن زوجها وأولادها، فلم تشاهدهم منذ فترة طويلة.

علّقت هادية غير مصدقة، ولكن لا يمكن أن ينتقل الخبر هكذا، فكيف عرف السمسار بطلب الشركة للأرض؟

قال جاسر وقد تضاعفت حيرته:

مع أن والدي قد فوجئ تمامًا بالسمسار، عندما جاء يسأله، أنه كان يطلب شراء أرض لمشروعنا، إلا أن الأمر الذي يدعو إلى المزيد من الدهشة، أنه سأل والدي إن كان يطلب أرضًا تزيد عن الثلاثة كيلو مترات المربعة، أي أنه يعرف ما هي نوعيه الأرض التي يطلب والدي شرائها.

سالته لمياء:

فمَنِ الذي أخبر السمسار؟ من المؤكد أن هناك من قام بنقل السر.. ولكن كيف؟

وكان الحاج فهد في الخارج، ولما دخل المكتب، بادره جاسر بالسؤال عما حدث في موضوع الحساب، الذي حوله الرجل الأسترالي، فأجاب وهو في حيرة من الأمر:

إن رئيس المباحث قـد قـام بعـدة اتصـالات لمعرفـة التطورات، ولكن يبدو أن الرجل حريص، فلم يتصرف حتى الآن في الرصيد.

كان الجميع يفكر في حيرة، وبعد مـدة قطعـت هاديـة الصمت، وهي تتساءل في حيرة وشك:

ولكن لو كان الرجل ما يزال مختبئًا في مصر، فكيف قام بتحويل الحساب؟

فعقّبت لمياء مؤكدة:

فعلاً.

قال وليد، وهو يحاول وضع تصور لما حدث:

من المؤكد أن هذا الرجل الأسترالي قد أرسل مع شخص ما، الورقة الكتابية التي يطلب فيها من البنك تحويل رصيد حسابه إلى البنك الجديد، وورقة أخري يطلب من البنك في سويسرا فتح حساب له، ليقوم بتحويل رصيده إليه.

أردف طلال مؤكدًا:

معني ذلك أن هناك شخص ما سـافر مـن هنـا إلـى سويسرا، لفتح الحساب الجديد، ثم سافر إلى استراليا ليقدم

للبنك الأمر الكتابي، بتحويل الحساب إلى الحساب الآخر في بنك سويسرا.

وتوقف وأومأ برأسه، وقال مؤكدًا:

وهذا الشخص إما فرد من أفراد العصابة، أو شخص يعرف المجرم الأسترالي معرفة وثيقة.

صاحت لمياء في حماس متأثرة بالمفاجأة:

ياله من خيط! بهذه الطريقة لو استطاعت السلطات القبض عليه، لاستطعنا معرفة أهم ضلع في العصابة.

فما إن سمع الحاج فهد بذلك، حتى رهب واقفًا، وقام بالاتصال برئيس المباحث، وعرض عليه الأفكار التي طرحها الأصدقاء، فبَدَا على رئيس المباحث أنه اقتنع بالأمر تمامًا، فلم يلبث أن أعطي أوامره على الفور لرجاله بالحصول على صورة لراكب الطائرات والبواخر، التي غادرت مصر متجهةً إلى سويسرا واستراليا، خلال الشهر السابق.

وفي اليوم التالي، كان رئيس المباحث يطرق باب مكتب الحاج فهد، ولما شاهد عنده الأصدقاء، بادرهم جميعًا قائلاً:

ها هي صورة من جوازات كل الركاب الـــذين غـــادروا مصر إلى أستراليا.

فلما نظر إليه الجميع في حيرة، أردف قائلاً وهو يفــتح ظرفًا كبيرًا في يده، ويُخرج منه الصور:

ولكن للأسف، لا يوجد بيـــنهم أي صـــورة للمجـــرمَين الهاربين.

وتوقف، ثم أضاف، وهو يخرج بعــض مـــن الصـــور، ويقترب من الحاج فهد:

لم نجد بعدما تحرِّيْنا عن جميع الركاب، ســـوي ثمـــاني صورة لركاب، هم الذين كانوا موضعًا للشك غالبًـــا، كـــانوا قادمين من دول أخرى، وتوقفـــت طـــائراتهم فـــي مصـــر للتمويل، حتى تستأنف الطيران. أما البواخر، فلم توجد في هذا الوقت أي باخرة مغادرة من مصر فـــي طريقهـــا إلـــى سويسرا أو أستراليا.

فلما تناول الجميع منه الصور، وألقى كلٌ نظرة عليها، لم يستطيع أحدهم التعرف على صاحب صورة من هذه الصور.

أردف رئيس المباحث:

في الواقع، يوجد ثلاثة مصريين؛ رجل وزوجته وهم مسافران ومعهما طلب للهجرة، أما الرجال الثلاثة هؤلاء، فأحدهم قد سافر للمرة الثالثة، وأما الاثنان الأخران، فهذه أول مرة يسافران، وهما كما ترون شابان صغيران، وقد سافرا في مأمورية لشركة تصدير، وقد أفادت تحريات رجالنا بصحة ذلك.

إلا أنه وبينما ترك الجميع الصور على أحد المكاتب، بعد ما لم يستطع أحد من الأصدقاء التعرف على أحد من أصحابها، إذا بصوت ينطلق فجأة، فقد كان صوت الساعي فرّاج، والذي صاح وهو لا يصدق

يا خبر! إنها صورة اللص الذي سرق ملابسي.

فالتفت إليه الجميع، وجعلوا يحدقون في ذهول.

***

كانت مفاجأة مذهلة بالنسبة للجميع، وقد حاول رئيس المباحث مراجعة عم فرّاج الساعي، فربما كان مخطئًا، ولكن كان الرجل مصرًّا ومتأكدًا تمامًا، أنه هو اللص الذي سطا على المكتب، وسرق ملابسه.

هز رئيس المباحث رأسه، وقال بما لا يدع مجالاً للشك:

معني ذلك أنه هو الرجل الذي أرسله المجرم الأسترالي إلى البنك السويسري.

فتساءلت لمياء في حيرة:

إن الأمر الذي يحيرني، هو لماذا حاول الرجل سرقة المكتب، فلقد اعتقدنا أنه حاول سرقة الأموال التي بخزنة المكتب؛ لأنه كان يظن أنه ما دام، مكتبا لإقراض، فربما يكون لديه على الأقل مبالغ سائلة بالخزنة، وقد حاول سرقة ملابس عم فرّاج؛ لأنه اعتقد أنه يضع بداخلها مفتاح الخزنة.

صاح حمدي في اعتراض:

في جريمة سرقة الأرض، فهو من المؤكد كان له غـرض أخر.

وصار لغز الرجل الذي سافر ليسلم أوراق فـتح البنـك بسويسرا، والذي يدعى عزت القماش، هـو شـغل رجـال المباحث الشاغل، وجعلوا يتتبعونه فـي أسـتراليا، ولكـن أسفرت التحريات أنه الرجل غادر أستراليا، واتجه منها إلى سويسرا على الطيران السويسـري، ولكنـه مـا أن فـتح الحساب هناك، لم يغادر سويسرا، أما تحرياتهم عن عـزت القماش، التي قاموا بها في مصر، فقد أسفرت نتيجتها عن أنه كان يعمل بشركة تصدير في مصر منذ عـدة سـنوات، وقد قام أثناء عملة بسفريات عديدة لمجموعة من الـدول؛ أهما أستراليا، وتزوج من امرأة أسترالية هنـاك، وأنجـب منها طفلين، وأمضى ثلاث سنوات في أستراليا، ولكنه فجأة طلق زوجته الأسترالية، وعاد للعمل في مصر.

ولكن لم يعرف أحد ماذا كان يفعل في هذه الفتـرة فـي مصر، والغريب أن الرجل ليس له سوى قريب واحـد فـي مصر، وهو ابن عم والده، والمقيم بمدينة دمنهـور، ولـم

يعرف بواب العمارة عنه أي شيء، عدا أنه رجل يقضي طوال يومه في العمل، ولكنه لا يعرف ماذا يعمل. وبسؤالهم لزملائه في العمل في مصر، أفاد زملاؤه في العمل السابق، أنه كان ينشد الثراء بأي شكل، ولو أدى إلى ارتكابه عدة جرائم من أجل ذلك!

إلا أنه، وبعد أسبوع بأكمله، اتصل الحاج فهد برئيس المباحث ليطمئن، هل تم القبض على عزت القماش هذا في سويسرا، فقال رئيس المباحث في أسى:

للأسف لم يستطيع رجال المباحث السريون الوقوف على أي أثر له، ولذلك سافر ثلاثة من رجالنا إلى سويسرا، لمعاونة المخابرات السويسرية في القبض عليه، ولكنهم لم يستطيعوا العثور على مكانه حتى الآن.

وسكت وأردف قائلاً في صوت حانق:

كما أن حساب الرجل الأسترالي الذي تم فتحه ببنك سويسرا لم يتحرك حتى الآن، فلم تظهر أي معاملات له مع أحد.

وتنهد في عمق، وغمغم في حيرة:

يبدوا أن الرجل حريص جدًا، ويعرف أننا نراقب حركته البنك.

ولما أخبر الحاج الأصدقاء بما حدث، قالت هادية في حيرة: أنا يُخيل إليّ أن رفعت القماش هذا وراء كل ما تم تدبيره.

فراح الأصدقاء يفكرون في أمر عزت القماش، والرجل الأسترالي، وهم في حيرة شديدة. وتساءل طلال فجأة:

إن السؤال الذي لم يفارق ذهني أبدًا هو: كيف عرف عزت القماش هذا بمشروعنا؟

عقّب حمدي في يأس:

من الواضح جدًّا، أن هذا الرجل كما تقول هادية، هو المحرك لكل هذه الأحداث، فيُخيل إلي أنه هو الذي قام بالتخطيط، بداية من التخطيط لشراء الأرض من مسيو بابير، وتزويد من قاموا بعملية الاحتيال، فالقبض عليه فعلاً سيؤدي إلى القبض على العصابة كلها.

علّقت لمياء في ذهول:

ولكن، لن يستطيع رجال المباح المصرية القبض عليه

في سويسرا، فمن المؤكد أنه استطاع أن يختبئ بإحدى الفيلات هناك، وقد يعيش فيها عامًا بأكمله، حتى لو أنفق مليوني جنيه.

صاح جاسر في حنق وضيق:

ما دام الأمر كذلك، فلن نترك الأمور هكذا.

فسألته هادية في حيرة:

ماذا تعني؟

جاسر:

لا يوجد أمامنا سوي معرفة كل شيء عن هذا الرجل بأنفسنا.

سألته لمياء، وهي لا تصدق:

وكيف يمكننا ذلك، وهو موجود بالفعل في سويسرا؟!

فقال جاسر في إصرار:

لا، إن عزت القماش هذا هو المفتاح الوحيد الذي أمامنا؛ فالرجل الذي انتحل شخصية رفعت السنجري مختفي هو والأسترالي، ولكن لا يوجد خيط للتوصل إلى حقيقتهما، أما هذا الرجل، فلدينا عنوانه في مصر، وعنوان الشركة التي

كان يعمل فيها في مصر، حيث حصل والـدي علـى هـذه المعلومات من رئيس المباحث، فقال حمدي، وقد راقت لـه الفكرة.

ينبغي لذلك أن نحاول التوصل إلى معلومات قـد تفيـدنا عن هذا الرجل، فربما نصل إلى أحد شركائه بسويسـرا أو أستراليا، فنفيد بها رجال المباحث.

وجد الأصدقاء جميعًا أن هذا هو الحل الذي يسـتطيعون من خلاله الحصول على معلومات عـن عـزت القمـاش، وكانت الخطة أن يوزعوا جهدهم بيـنهم، فيـذهب طـلال وهادية ولمياء إلى الشركة التي كـان يعمـل بهـا عـزت القماش، ويزعمون أنهم أبناء لرجال أعمال مجرِمين، قَبَضَ منهم عزت القماش عشرين ألف دولار، ثمنًا مقدمًا لبضاعة سيصدرها لهم منذ عـام، وزاغ مـنهم، ولـذلك حضـروا لمقابلته، أو لاقتفاء أثره، ولما عرفوا من بـواب العمـارة التي يسكن فيها، أنه سافر للخارج، حضروا إلـى الشـركة التي كان يعمل فيها، ليعرفوا أين يوجد. أما حمدي ووليـد وجاسر فيسافرون إلى مدينة دمنهور، حيث يقطن ابن عـم

والد عزت القماش.

وقام الأصدقاء بتنفيذ الخطة، ولكن لم يستطع طلال وهادية ولمياء الحصول على معلومات من موظفي الشركة، بَيْدَ أن طلالاً لمح على وجه أحد السعاه بالشركة، أنه يبغي الإفصاح عن شيء، ولكنه يبدو مترددًا، فأسرع إليه طلال، ولما اقترب منه مال عليه، وبادره قائلاً:

هيّا معي.

فما كاد الساعي يتابعه في حيرة، إذا بطلال يخرج من جيبه خمسين جنيهًا، وقال له في لهجة إغراء ووعيد:

هذه مجرد فكة، فلو هديتنا إلي معلومة قيمة عنه، فسوف يكون لك عشرة أضعاف ذلك.

فلما تناول الرجل النقود، همس إليه قائلاً:

إنه له صاحب لا يفارقه أبدًا، يقطن هنا في الإسكندرية، في كامب شيزار، فلقد ذهبت أكثر من مرة لأحمل لهما بضاعة اشترياها.

ووضع الرجل يده في جيبه، وأخرج قصاصة ورق صغيرة، وكتب عليها العنوان.

فلما أخبر طلال هادية ولمياء بما حدث، صاحت لمياء في حماس: عظيم، لقد وقع في أيدينا أول عنوان ممكن تقديمه لرجال المباحث.

فقالت هادية معترضة:

لا، إنه قد يكون خيطًا ضعيفًا.. مجرد صديق له.

فقال طلال، بعد أن فكر لثوانٍ، وهم يغادرون المكان.

في رأيي أن نقوم نحن بسؤال صاحبة، ولكن من خلال خطة أخرى نستطيع بها أن نحصل منه على معلومة.

ردت لمياء في حيرة:

خطة!

فتدخلت هادية قائلة في حماس:

فعلاً، لقد خطر ببالي أنَ أفضل ما سيجعله يعطينا معلومات، هي أن نوحي إليه أن لديه مبلغًا من المال، هو باقي قيمة سلع استوردها لوالدنا.

لاقت هذه الفكرة استحسان ثلاثتهم، وبعد نصف ساعة فقط، توقفت السيارة الأجرة أمام العمارة التي يقطن بها صحابه، طِبْقًا للعنوان الذي كتبه الساعي، لكنهم ما كادوا

يصلون إلى رقم الشقة، ويضربون جرس البـــاب، إذا بهـــم يفاجئون بمفاجأة لم تكن في الحسبان أبدًا، فلقد فوجئوا بأن صاحبه الذي فتح لهم الباب، هو مندوب شـــركة الأغـــاني نفسه! فتسمروا جميعًا في مكانهم.

* * *

المفاجأة

لم يجد الأصدقاء الثلاثة؛ حمدي ووليد وجاسر، صعوبة في الوصول إلى عنوان ابن عم والد عزت القماش، في مدينة دمنهور، فبمجرد أن دخلو المدينة، وسألوا عنه، أشار إليه أكثر من فرد على الطريق، فما أن دلفوا بسيارتهم من الشارع العمومي، الذي يُفضي إلى شارع فرعي، إذا بعيني حمدي تقعا على العنوان بحارة برتون.

قابلهم أحد أقارب عزت، وجعل ينظر إليهم في ريبة من خلف نظّارته السميكة. وما إن أخطروه بأنهم قادمون إلى مدينة الإسكندرية، في مهمة خاصة بعزت القماش، حتى انفجر الرجل صائحًا وغاضبًا: وما لي أنا وعزت؟ وماذا تريدون؟

وعلى إثر صياحه المرتفع، فوجئ الأصدقاء بأربعة شبّان أقوياء يدخلون فجأة، وقد ظهر على وجوههم التحضير للعراك.

فقال وليد، وقد أبان ثغرة عن ابتسامة واسعة.

تبدلت نظرات العنف والغضب التي بدت على وجه الشبّان، وحلت محلها علامات الدهشة، وجعل الرجل الكبير، قريب عزت يبش في وجوه الأصدقاء الثلاثة، وقد ارتسمت على وجهه علامات دهشة شديدة، وتساءل وهو لا يصدق.

ماذا تقولون يا أولاد؟ تريدون أن تسددوا دينًا عليكم!

لمن؟ لعزت؟

هز حمدي رأسه، وقال مؤكدًا:

نعم، فإن له حساب متبقي علينا، قدرة ألف ومائتان وخمسون جنيهًا.

فما أن ذكر حمدي هذا الرقم، حتى تضاعفت الدهشة التي بدت على وجه الشبّان الأربعة، وجعلوا يذّلون النظرات فيما بينهم وبين الأصدقاء، وهم في حيرة شديدة.

ردد الرجل العجوز، وهو لا يصدق:

ألف ومائتان وخمسون جنيهًا، جئتم تردونها إلى عزت!

وتوقف، وردد مرة أخري، وهو لا يصدق.

عزت القمّاش!

نعم، فلقد اشتري لوالدي بضاعة، وهي مجرد لعب أطال،

واستوردها له من أستراليا، وتبقي له هذا المبلغ.

أردف جاسر:

وقد جئنا لنسدد له هذا المبلغ.

فتدخل أحد الشبان قائلاً، وهو يحاول التودد إلى الأصدقاء: ما دمتم قد جئتم إلى ابن عمنا عزت القمّاش، فأنتم اليوم مدعون لتناول الغذاء معنا.

واندفع الرجل العجوز قائلاً:

لقد سُررنا يا أولاد لأمانتكم، فسوف نسلّم له المبلغ عندما يأتي على الفور.

استغل وليد الفرصة، وقال بلباقة:

ولكننا للأسف سمعنا أن الأستاذ عزت مسافر في الخارج، فهل تعرفون عنوانه هناك لنرسل إليه المبلغ؟ فتدخل شاب أخر، وقال متوددًا إلي الأصدقاء الثلاثة: لا نعرف عنوانه، ولكن سنعطيك إيصالاً باستلامنا للمبلغ. فشعر الأصدقاء أنهم وضعوا في مأزق شديد، فقال جاسر في دهاء:

ليست هناك مشكلة في أن ندفع لكم المبلغ، فأنتم أقاربه

بلا شك، ولكن لو تفضلتم، وافونا برقم تليفونه المحمـــول، لنتصل به بالخارج، وبمجرد الاتصال به، نسدد لكم القيمـــة على الفور.

فوجئ الجميع بالرجل العجوز ينتفض واقفًا، وقال بلهجة متشددة، وفي حنق شديد:

لا، إنه مدين لي بخمسة آلاف جنيه، فهذا المبلغ مستحق لنا، ولن نترككم حتى نأخذ حقنا.

وعلى الفور، التف الشبان الأربعـــة حـــول الأصـــدقاء، وتأهبوا للعراك الشديد، فشعر الأصدقاء الثلاثة أنهـــم قـــد وضعوا في مأزق خطير، لا حل له سوى سداد القيمة.

وفجأة صاح حمدي بلباقة:

تسمحوا لي قبل أي شيء أن أقوم بالاتصـــال بوالـــدي، حتى أستأذنه، فاندفع أحدهم، وقال في حدة:

اتَّصِل، وسواء وافق والدك أو لم يوافق، فلن تخرجـــوا من هنا حتى تدفعوا المبلغ. إنه حقنا.

فأخرج حمدي على الفور تليفونه المحمـــول، وســـمعه الجميع يتحدث قائلا:

نعم العنوان حارة برقوق بميدان أبو الـريش بـدمنهور أيوه أقارب عزت القماش يريدون أن نسدد مبلغًا من المـال رغمًا عنا.

فصاح شاب أخر في لهجة تهديد:

رغما عنكم؛ فهو حقنا.

فناوله حمدي التليفون، وقال:

تفضل.. تكمل.

فاندفع الشاب، وتناول التليفون من حمدي، ولكنه ما أن وضعه على أذنه، فوجئ به الجميع يقول:

ماذا.. رئيس مباحث الإسكندرية، أنـا يـا فنـدم.. حـا حاضر!

فرانت الدهشة على وجه الجميع، ولـم يصـدق وليـد وجاسر أنفسهما وهما يغادرن الشقة إلـى جانـب حمـدي سالمين:

وعلق جاسر وهو يضحك

يا لها من خدعة؟

وركب ثلاثتهم سيارة حمدي في طريقهم إلى الإسكندرية.

وكان طلال وهادية ولمياء قد فروا من العمارة بسرعة، بعدما فتح لهم مندوب شركة الأغاني الباب، وفوجئ بهم.

فما أن التقي الجميع، وفوجئ الأصدقاء الثلاثة؛ حمدي وجاسر ووليد، من طلال، بأن مندوب شركة الأغاني، هو صديق عزت، صاح جاسر، وهو لا يصدق:

معقولة!

وعقّب وليد قائلاً في دهشة:

يالها من مفاجأة! لقد اتضح لنا الأمر إذن، فمن المؤكد أن هذا الرجل هو الذي دبّر كل شيء.

وقال حمدي:

إن الوضع الآن صار في صالحنا لأول مرة؛ فالرجل موجود في مصر، وعنوانه موجود، ولن يستطيع الهرب من الشرطة.

صاحت هاية:

لا يوجد أمامنا سوي إبلاغ رئيس المباحث بالأمر؛ حتى يسارع بالقبض عليه قبل أن يهرب.

فأخرج حمدي تليفونه المحمول، وقام بالاتصال على

الفور برئيس المباحث، ولكنه قال في ضيق:

تليفونه مغلق للأسف.

علّق وليد في حيرة: يبدو أنه في لهفة

وقال جاسر:

لا يوجد، فمن المؤكد أن الرجل قد عــرف أننــا كشــفنا أمره، وخاصة أنكم اضطررتم للفرار من أمامه، فربما أنــه يدبر طريقة للهروب الآن.

بَيْدَ أنهم ما كدوا يغادرون المكان، إذا بجــرس تليفــون المكتب يرن، وما إن أسرع جاسر يرد، حتــى فــوجئ بــه الجميع وهو يقول، وقد تجهّم وجهُه تمامًا، وقال متلعثمًا:

ماذا؟ ماذا تقول؟

ثم وضع السماعة، وقد ظهرت عليه علامات ذهول وهلع شديدين. فلما سأله الجميع عما حدث، قال وهو في ذهول:

لقد.. لقد اختَطَف الرجل والدي، وهددنا بقتله لو حاولنا الاتصال بالمباحث!

فنظر الجمع إلى بعضهم في ذهول تام!

***

البحث عن المجرم

تسمر الأصدقاء جميعًا في مكانهم لمـدة، وقـد غشـي وجوههم جميعًا ذهول تام، ولم تستطع قدما جاسـر علـى حمله من فرط الفزع الذي انتابه، فتهادى على أقرب مقعد.

ومرت على ذلك عدة دقائق، ساد خلالها الصمت التـام، إلى أن قطع وليد الصمت، وهو يتساءل في حيرة وشـعور بالخوف:

وما العمل؟ لا يوجد أمامنا سوي إبلاغ المباحث!

انتقض جاسر، وقال متوسلاً، في رجاء ممزوج بالرعب:

لا.. لا يا وليد؛ لو فعلنا ذلك فسيقتلون والدي، فالرجـل يتحدث بصوت تغلب عليه الجديّة.

تساءلت لمياء متشكّكة: ومن يدرينا أنهـم قـد قـاموا باختطاف عمو فهد، وجعلوه رهينة لديهم؟

قال جاسر، وهو يتنهد من فرط الحزن والرعب:

لقد تعمدوا أن يجعلونني اسمع صوته بالفعل، إلا أنـه، وبعد مرور نصف ساعة كاملة من التفكير والحيـرة التـي

سادت الجميع، وجعل جاسر خلالها يذرع غرفة المكتب جيئة وذهابًا، وهو ينتظر فيلهفة بالغة أي مكالمة تأتي من المختطف.

فاقترب حمدي من وليد، وهمس قائلاً:

لا يوجد أمامنا سوي مراقبة الرجل؛ فلا وقت أمامنا.

فتساؤل وليد بصوت هامس، في حيرة:

ولكن، قد يصدقوا في كلامهم، ويقتلون عمو فهد.

قال حمدي معترضًا:

إن الرجل يعلم أن المباحث تراقبه، أو على الأقل هو عرف أننا كشفنا سرّه، فكيف يُقْدم الرجل على عملية القتل، فيتعرض للإعدام؟!

واستحسن وليد الفكرة، بَيْدَ أنه قال في حيرة:

ولكن، ماذا نفعل مع جاسر، فهو كما تري في حالة بالغة من الرعب؟ فاتفق الصديقان على أن يتحجج حمدي بأن ما معه من نقود نفذ، وأنه مضطر إلى الذهاب إلى مدينة القاهرة ليسحب مبلغًا من رصيده بالبنك، ويعرض عليه وليد أن يصحبه لاحتياجه إلى شراء ملابس من القاهرة. ونجحت

الحيلة، ولم يشك أحد من الأصدقاء في هذا الأمـــر، حيـــث كانوا مشغولين في انتظار الخطوة القادمة من المجرم.

وعلى الفور، أسرع حمدي، ووليد إلي حقائبهما وأخرجا منها أدوات التنكر، واضطرا إلى اســـتئجار غرفـــة بأحـــد الفنادق المجاورة، وهناك قاما بعملية التنكر. وكان الأمـــر الذي وضعهما في حرج، أن موظفي الاستقبال في الفندق قد فوجئوا بشخصين آخرين بعد تنكرهما، فاضـــطرا إلـــى أن يزعمان أنهما صديقان قد أقبلا لزيارة صـــديقيهما حمـــدي ووليد، وغادرا المكان على الفور.

وبعد عدة دقائق فقط، كان الصديقان قد وصلا بســـيارة حمدي إلى كامب شيزار، حسب العنوان، فقال وليد:

إنها العمارة التي توجد هناك. هي رقم ٢٨ فعلاً، والتـــي لم تخرج من ذاكرتي عندما كان طلال يروي ما حدث مـــع الرجل.

فقام حمدي على الفور بالبحث عن مكان لإيقاف سيارته على ناصية الشارع، وما أن ولجا الشارع الذي توجد بـــه العمارة، حتى أشار وليد قائلاً:

انظر! يوجد مقهى أمام العمارة مباشرة.

فعلّق حمدي، مسرعًا في اتجاه المقهى:

لنطلب شطرنج على الفور، ولنظهر أمام الناس وكأننا منهمكَينْ في اللعب أثناء مراقبتنا لباب العمارة.

وبسرعة، أخذا مكانهما على باب المقهى، الذي يتيح لها سهولة المراقبة، وراحا يمارسان اللعب، بينما كان كل منهم يختلس نظره بين حين وآخر.

مرت ساعة بأكملها، فقال وليد في حيرة وشك:

هل تعتقد أن الرجل ما يزال موجودًا حتى الآن في هذه الشقة، ولم يغادرها.

فأجاب حمدي في شيء من القلق:

إن الرجل مطمئن تمامًا إلى أننا لن نبلغ رجال المباحث عن الاختطاف؛ خوفًا على الحاج فهد، ولكنني...

وتوقف فجأة، وقد ظهرت على وجهه علامات قلق وتوجس، ثم استأنف حديثه قائلاً فيما يشبه الهمس:

ولكنني أخشى أن يفكر في السفر، فلا توجد أي وسيلة أمامه عدا الهروب إلى الخارج.

فانتابت وليد حالة من التوجس الشديد، وهمس في خوف: لك الحق؛ فمن المؤكد أنه مادام هو مدير العملية، فنصيبه منها قد يكون أضعاف الجميع، فربما يصل إلى ثلاثمائة مليون جنيه، ويفكر بالهرب إلى الخارج والاستقرار هناك.

هز حمدي رأسه، وأردف قائلاً في قلق:

فعلاً، لا تنس أنه حتى الآن لم تصدر ضده أي أحكام، ومعنى ذلك أن من صالحه الهروب وبسرعة.

فانتفض وليد واقفًا، وقال في هلع:

لا يوجد أمامنا سوي الإسراع بإبلاغ رئيس المباحث على الفور، ولكن ما إن وضع يده في جيوبه ليخرج ثمن المشروبات، وما كاد حمدي ينادي على صبي المقهى، إذا بوليد يقول فجأة لحمدي: انظر! فما كاد حمدي يلتفت إلى حيث يشير وليد، حتى صاح في دهشة

يا إلهي! إنه هو!

فقد شاهدا الرجل يغادر باب العمارة مسرعًا.

***

توقف الصديقان لثوانٍ، وهما يتابعان الرجل وهو يغادر العمارة مسرعًا، ويحمل حقيبة واضح أنها ثقيلة؛ لما يعانيه من حملها، ويتجه إلى سيارة كانت تقف على بعد عدة أمتار، وكان واضحًا عليه الاستعجال الشديد، وراح يلقي نظرات سريعة حوله، وركب بعدها سيارته، وانطلق بها.

فقال حمدي في عجالة:

لا يوجد أمامنا حيلة سوى تتبّع طريقه.

فسأله وليد في قلق وحيرة.

ولكن.. ورئيس المباحث..

فقال حمدي، وهو يتجه مسرعًا إلى سيارته:

إننا نعلم الآن ما سنفعله، فالواضح أن الرجل قد غادر المكان ليختبئ في مكان آخر.

فأسرع وليد، وقال وهو يمشي بسرعة ليلحق بحمدي إلى السيارة:

لك الحق.. لنعرف أين يختبئ، فلقد جئنا في وقتنا فعلاً.

سيارة الرجل، والتي ظهرت أمامه في أخر الشارع الطويل.

وظل لمدة طويلة يقتفي أثر الرجل من بُعْد حتى وصل إلى محطة الرمل، وعرج بسيارته إلى الميدان الواسع، ودلف به إلى شارع جانبي، يُفضي إلى شارع مهجور لا توجد به سوى فيلا قديمه.

وما إن وصل حمدي إلى أول الشارع، حتى شاهد سيارة الرجل تقف أمام الفيلا، وغادر سيارته، ودخل على الفور.

قال حمدي، وهو يوقِفُ سيارته:

لقد تم كل شيء أسرع مما كنا نتصور، فمن المؤكد أن هذا هو المكان الذي يختبئ فيه الرجلان.

فأضاف وليد، وهو يلهث من فرط التأثر بالنجاح:

وربما كان الحاج فهد مسجونا فيه أيضا.

قال حمدي، وهو يضع يديه في جيوبه، ويخرج تليفونه المحمول:

الآن فقط يمكننا الاتصال برئيس المباحث.

ولكن، ما كاد حمدي يحاول الاتصال حتى رأى ثلاثة رجال يقبلون فجأة، وصوب أحدهم مسدسه في ظهر حمدي،

فيما مد آخر يده، والتقط المحمول، وصاح الرجل الثالث فيهما بصوت عالٍ، غاضبًا:

هيّا أمامنا دون صوت، وإلا..

فراح حمدي ووليد ينظران إلى الرجال الثلاثة: وقد انتابتهما حالة من الذهول؛ حيث فوجئا بهم، كان الرجال الثلاثة عمالقة الجسم، تبدو عليهم القوة الهائلة، فوجدا أنفسهما رغمًا عنهما يسيران أمام الرجال الثلاثة، حتى وصلا إلى الفيلا المهجورة!

وبينما كانت هادية وطلال ولمياء يقفون في حيرة شديدة، وهم يرقبون مكالمة من المجرم، كانوا يشعرون أنه كلما مر الوقت كلما تضاعف الخطر، بينما كان جاسر في حالة هلع شديد على والده، وكان بين حين وأخر يقول في جزع:

لم يتصلوا، تُرى ماذا حدث لوالدي؟

حتى مر يومًا بأكمله، ولم تصلهم مكالمة، بل ولم يتصل حمدي ولا وليد ليطمئنا على ما حدث.

اقترب طلال من هادية، وهمس إليها متسائلاً في حيرة:

لقد تضاعف قلقي وحيرتي؟

فأجابته هادية فيما يشبه الهمس:

إنني أشك في أن يتركنا حمدي في هذا الوقت بالذات فمن المؤكد أنه...

فقاطعها طلال قائلاً:

لقد حاولت الاتصال بتليفونيها المحمول مرارًا ولكنهما مغلقين فانتابني الآن قلق بالغ عليها.

ولكن، ما أن شرعت هادية في الكلام، إذا بجاسر يسأل في هلع:

قولا لي، هل حدث شيء؟

فقال طلال، وهو يحاول أن يبدو الأمر طبيعيًا:

لا.. لم يحدث شيء. فكيف يخطرنا أحد بشيء دون أن يرن جرس التليفون.

بيد أن طلال وهادية كانا مصيبين في قلقهما، فقد كان حمدي ووليد في هذا الوقت مرتميان محل أرضًا بالفيلا، وقد قُيد وثاقهما.

وقد أقبل في هذا الوقت مندوب شركة إنتاج الأغاني،

وقال يخاطبهما:

كيف تقتفيان أثري أيها الولدان، كيف تجرؤن على فعل ذلك؟ أنا قد أنذرتكما من قبل، وإلا ستضعان بتهوركما هذا، الحاج فهد النابلسي، والد زميلكم، في خطر.

تدخَّل أحد العمالقة، وقال:

وما الحل معهما يا ريس؟ هل نضعها...

قاطعه مندوب الأغاني قبل أن يمكل كلامه:

لا يا محروس، لا تتصرف من رأسك.

فبدا الخوف على وجه محروس العملاق، وقال:

لا.. لا ياريس.. أنا قصدي..

فخرج الرجل بنظرة ذات مغزي، فغادر العمالقة الثلاثة في إثرها المكان على الفور.

وتناهى إلى أُذُني حمدي ووليد صوت أقدامها الثقيلة وهم يهبطون السلم، واستطاع حمدي أن يميز صوت مندوب شركة الأغاني وهو يقول من بعيد.

لم يعد أمامي على السفر سوي يومين فقط.

وجاء صوت محروس الجهوري، وهو يتساءل:

وهذان الولدان، ماذا سنفعل معهما يا ريس؟

فأرهف حمدي ووليد السمع، ولكن، كان الصوت قد توقف تمامًا، فجعلا ينظران حولهما، وهما في خوف وفزع، وخطر ببال حمدي أن يستخدم تليفونه المحمول، ولكنه تذكر أنهم انتزعوا تليفونيها عنوة وهم في الشارع ومرت فترة صمت، خالها الصديقان دهرًا، وشعر بأنهما قد غرقا في بحر مظلم، فأخذ خوفهما ورعبهما يتضاعفان، عندما أدركا أن مصيرهما قد أصبح مظلمًا تمامًا.

ولم تمضِ إلا دقيقة واحدة، حتى أقبل عملاقان من العمالقة الثلاثة، وألقى عليهما نظرة تَنُم عن الحقد والغضب، وقال أحدهما للآخر:

تعتقد أن الريس سيوافق على طلبنا ويمحنا المحل بالكامل.

قال الآخر وهو يهم بمغادرة المكان.

ليس بعد أن يعطينا الإشارة بالتخلص من هذه الرهائن.

فكاد قلب الصديقان أن يتوقف، وحاول حمدي أن يتكلم، ولكن انحشر الكلام في حلقه.

إلا أنه وفجأة سمعا صوت طلق ناري، وصوت رجل يقول:

قفا..قفا عندكما، وإلا صوبنا عليكما النيران.

فتسمر الصديقان في مكانها.

* * *

لم يصدق حمدي ووليد أنفسهما، وهما يشاهدان رئــيس المباحث يدخل، وفي أعقابه يدخل جاسر وطـلال، واللـذان أخذا يعانقانهما في حرارة شديد، ولم يلبث أن دخلتا هاديــة ولمياء. كان حمدي ووليد ينظران إلى الجميع. وهمــا فــي حالة من الذهول التام، ولكن أخرجهما رئيس المباحث عــن ذهولها قائلاً:

حمدًا لله على سلامتكما يا أولادي، لقد استطعنا إنقاذكما في آخر لحظة، قبل أن تتعرضوا لأذى هؤلاء المجــرمين، والفضل كله يرجع إلى زميلتكم لمياء.

جعل حمدي ووليد ينظران إلى الجميــع وقــد تضــاعف ذهولهما، وكأنهما في حلم.

وفي مساء نفس اليوم، كان الأصدقاء جميعًا مجتمعــون في غرفة رئيس المباحث، قائلاً، وقد بــدت علــى وجهــه علامات الراحة والشعور بالانتصار.

لقد اتصلت بي لمياء، وأخبرتني أن الحاج فهد اختُطف،

رد وليد في دهشة:

القط!!

فقال رئيس المباحث، وقد أفتر ثغرة عن ابتسامة:

نعم، إن أسمه المعروف لنا جميعًا في عالم المباحث هو القط. لما أخبرتني لمياء، وهي تحدثني من خارج مكتب الحاج فهد، حتى لا يعرف جاسر؛ لأنه كان في حالة من الهلع الشديد، خشيةً على والده بما حدث، ووافتني بعنوان الرجل الذي ذهبتما لمراقبته، وأخبرتني أنه يمتلك شركة لإنتاج الأغاني، فعلى الفور، قام رجالنا بالتحري عنه، فتوصلنا من تحرياتنا مع سكان العمارة إلى اسمه، وعلى الفور أدركنا أنه هو المسجل الخطر لدينا تحت اسم القط، وأبلغتنا رجالنا الذين وقفوا أمام العمارة يراقبون، بأن الرجل هو القط، فقاموا على الفور بإجراءات المراقبة، ولكنهم لم يتعرفوا على حمدي ووليد ليقوما بحمايتهم، إلا أنهم أثناء مراقبتهم لسيارة المجرم، لاحظوا أن هناك سيارة كانت تسير وراءه، ويراقبه من فيها من بعد، فلما أخبروني بأمرها، اتصلت بدوري بلمياء، وسألتها عن السيارة

ورقمها، فأفادت بأنها هي سيارة حمدي.

فتساءل حمدي، وهو لا يصدق:

وهل كان رجال حضرتك يراقبوننا، عندما قام رجال القط بتهديدنا بإشهار سلاحهم، فاضطرونا إلى الخضوع لهم.

ففوجئ الجميع برئيس المباحث يقول، وقد اتسعت ابتسامته:

نعم، فلقد حدث ذلك أمام أنظار رجالنا وهم يراقبون القط ورجاله من بعيد، ولكنهم كانوا يعرفون أن القط لا يستطيع أن يصيبكم بأي أذى لأنهم يعرفون أنه يضع في حسبانه، أن بقية زملائه يعرفون متابعتكم له، وأن الشرطة ستعرف، وهو ليس بالغبي كي يضع نفسه في هذا المأزق، وكذلك وجدها رجالنا فرصة لمعرفة مكان العصابة.

يسأله جاسر في حيرة:

ولكننا وجدنا رجال المباحث يقبضون على منتحل شخصية رفعت السنجري، والرجل الأسترالي؟

فقال رئيس المباحث مندفعًا:

نعم، فقد ظهر عند التحقيق مع القط أنه جعلهما رهينة

لديه إلي أن يرجع صاحبه عزت القمـــاش، بعــدما يقــوم بتحويل حساب الرجل الأسترالي إلى البنك السويسري، ثـــم يحول الرجل الأسترالي رصيده في البنك السويســري إلـــى القط. وعندما اقتحمنا الفيلا وجدنا منتحل شخصية رفعــت السنجري، والرجل الأسترالي، معتقلين بها.

ولكن بدا لهادية شيء، فسألت رئيس المباحث في لهفة:

إن ما يحيرني، هو كيف عرف القط هذا بفكرة مشـــروع المكتبة، بالرغم من أنه لم يذكر أحد أمامه شيئًا عنه؟

فالتفت الجميع إلى رئيس المباحث، وحـدّقوا فيـــه فـــي شغف هائل، فأجاب في هدوء:

إن القط شخصية في منتهى الذكاء، وللأسف، ذكاؤه كله في الشر فقط.

فعندما تحدّاه أستاذ الاقتصاد، وأظهر له أن لديه مشروعًا يعطي عائدًا أكبر من الذي تحصل عليه شـــرائط الأغـــاني، والمعرفة بأنه عائد لا مثيل له، أدرك على الفور أن مشروع الدكتور خطير، فلجأ إلى الحيلة، فوضع جهاز التسجيل الذي لا يتركه أبدًا عندما يشك في أمر ما، ويحاول معرفة الـــذي

وراءه.

فصاح طلال وقد تذكر أمرًا ما:

آه، لذلك، زعم أنه مضطر لاستبدال الجاكتية بالعباءة، وفي هذه اللحظة خبأ جهاز التسجيل في ثنايا المعقد.

فأردف حمدي في حماس:

وبذلك يظهر السبب في سطو عزت القماش على المكتب، وذلك لكي يأخذ جهاز التسجيل هذا.

أومأ رئيس المباحث برأسه، وقال في إعجاب:

فعلاً، لقد أصبْتما أيها الولدان، فالرجل يمتلك جهازًا للتسجيل في غاية الحساسية، لا يمتلكه إلا رجال المخابرات والتجسُّس.

فساد الأصدقاء شعور بأنهم قد توصلوا إلى اللغز الذي حيرهم طويلا، بَيْدَ أنه لم يلبث أن خطر لجاسر شيء، فتساءل فجأة

ولكن، كيف قام القط بفعل جريمته؟

فقال رئيس المباحث مندفعًا، وكأنه كان منتظر لهذا السؤال:

عندما فكر القط في مشروع مكتبة الحاج فهد، وسمع من التسجيل أنه يفضل شراء أرض على الطريق الصحراوي، ليسهل الوصول إليها، وتكون في الوقت نفسه رخيصة الثمن، ومساحتها على الأقل ثلاثة كيلو مترات، ليتم شرائها بثمن منخفض، ثم تُباع بأضعاف أضعاف ثمنها، بعد إنشاء مشروع المكتبة، أسرع القط، وسأل عن أصحاب الأرض الموجودة بالطرق الصحراوية، وخاصة طريق القاهرة- الإسكندرية، فتوصل إلى وجود أرض يملكها الرجل الفرنسي بابير.

وسكت رئيس المباحث فجأة، ومد يده إلى فنجان القهوة الذي أمامه، وارتشف منه عدة رشفات، بينما كان الأصدقاء يترقبونه وهم على أحر من الجمر، ثم استطرد قائلاً:

وعلى الفور، اتصل بصاحبه عزت القماش، وهو شريكه في العديد من الجرائم، وعندما عرض عليه الأمر، تدبرا خطتهما.

كان تفكيرهما في بادئ الأمر: كيف يحصلان على عمولة من هذه العملية، فبحسبه بسيطة جدًّا جدًّا، تزيد العمولة عن

اثنين وعشرين مليون جنيه من الطرفين؛ البائع، والمشتري.

تساءل جاسر، وهو لا يصدق:

يالها من عمولة!! ولكن، لماذا لم يقوما بذلك؟

قالت هادية متسائلة، تؤكد سؤال جاسر:

صحيح، فلماذا لجئنا إلى هذه الحيلة العجيبة الطويلة؟

وجّه الجميع التساؤل، فأردف رئيس المباحث قائلاً:

ولكن، عندما أرسل القط، صاحب عزت، للحصول على المعلومات الكافية عن بابير، تعرّف هناك على ساعي المكتب، الذي يعمل فيه رفعت السنجري، صديق بابير ومحاميه، فاستطاع جس نبض الساعي، فأدرك أنه على استعداد لاقتراف أي جريمة، طالما حصل على المال.

فلما عاد عزت، وأخبر القط بأمر ساعي مكتب رفعت السنجري، طمعا في سرقة ثمن الأرض كله، وتوصلا إلى فكرتهما الجهنمية هذه.

فتدخل وليد متسائلاً

وما هي؟

رئيس المباحث:

كانت الخطة، هي أن يقوم ساعي مكتب رفعت السنجري بسرقة التوكيل الذي يعمله بابير لرفعت السنجري ليبيع به الأرض في مصر، كما يسرق معه مستندات ملكيـــة بـــابير للأرض، على أن ينتحل أحد رجال القط شخصـــية رفعــت السنجري، ويقوم ببيع الأرض باسم بابير، ولكنها في الواقع تكون لصالح هذا الوكيل المزيف.

وسكت رئيس المباحث لوهلة، جعل خلالها ينقل نظراته بين الجميع، الذين كانوا في شدة الإثارة والترقب، لمعرفـــة ماذا حدث في الخطوة التالية، ثم أردف قائلاً:

ولما كان ثمن مثل هذه الأرض سيكون مقابل شيك مـــن شركة الحاج فهد، إلى الوكيل المزعوم، لذلك فكر عزت في دخول شخصي وسيط آخر، يقوم الوكيل المزعوم بتظهيـــر قيمة الشيك له أي نقل قيمة الشيك.. ليحوله إلـــي حســـابه وهذا الرجل هو الرجل الأسترالي، وشريك عزت القماش في جريمته التي ارتكباها في أستراليا، وعندما تتحـــول قيمـــة سعر الأرض إلى حساب رجل غير معـــروف، فلـــن تشـــك

السلطات المصرية في أن الحساب قد تحول إلى الوكيل، فلا تضع يدها على دليل الجريمة.

فلما سكت رئيس المباحث، أكمل حمدي القصة كما تخيل:

وبذلك، يتم حجز الرجل الأسترالي رهينة، حتى يكتب أمرًا بتحويل القيمة إلى القط، فيحصل القط بذلك على قيمة العملية بالكامل.

ضحك رئيس المباحث، وهو يؤكد هذه الحقيقة، ولكنه أضاف قائلا: ولكن ذلك مقابل نصيب الأسترالي من العرض، والمتفق عليه، وهو عشرين مليون جنيه.

فصاحت لمياء في دهشة:

يالها من جريمة تم تدبيرها بمكر ولؤم شديدين!!

وتساءل وليد في حيرة:

إن ما يحير هو هذه الثغرة غير المعروفة!

فسأله حمدي في لهفة:

ثغرة!

نعم، كيف عرف بابير أن الأرض ستكون قمتها مرتفعة،

ولذلك رفع السعر إلي مبلغ كبير، مع أن الشركة طلبتها منه بنفس السعر الذي كان قد وافق عليه.

ففوجئ الجميع برئيس المباحث يطلق ضـــحكة عاليـــة، واستمر يضحك لمدة طويلة، ثم قال:

لأن عزت القماش قد سرّب خبرًا عن طريق مكتب رفعت السنجري، مؤدّاه أن الشركة العربية اكتشفت أنـــه يوجـــد أسفل أرض بابير مخابئ لليورانيوم، ولذلك نريـــدها بـــأي ثمن.

فانطلق الجميع يضحكون من طرافة الخبر، بَيْدَ أن حمدي سأل فجأة في لهفة:

ولكن أين يوجد الحاج فهد؟

ففوجئ بجاسر وقد أفتر ثغرة عـــن ابتســـامة واســـعة، يقول:

لقد سافر إلى سويســـرا، فالرجـــل الأســـترالي صـــاحب الحساب، قام بعمل شيك له، بكامل رصيده المفتوح على بنك سويسرا، وهو قيمة شراء الأرض من بابير.

